الكابوس

"سام"

الكابوس

"سام"

شهاب الدين سعودي

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 26211 /2017

I.S.B.N:978- 977-6640-02-3

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد اللّه

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

شهاب الدين سعودي

الكابوس

"سام"

رواية



إهداء ....

لمن وقف بجانبي حتى تمت روايتي واهتم بها كعمل روائي أكثر من مؤلفها، لمن تحمل انطوائيتي وانفعالي وغيابي، وتمسك بي حتى تلك اللحظة...

شكرًا لأنك بجواري...

(المقدمة)

الحقيقة...

لا يعلمها إلا اثنان: أحدهما فقد عقله...

والآخر تسأله الملائكة لماذا قتلت نفسك؟!.

الإسكندرية عام 1990

(كلية الهندسة)

جلس (علاء) في آخر المدرج أقصى اليمين، ثم وضع قدماً على الأخرى، وهو يعتذر لشاب جالس بجواره، وبدأ يرمق أولياء الأمور، وكيف يتعاملون مع أبنائهم في تلك المناسبة السعيدة... إنه الحفل الذي ينتظره (علاء) وزملائه منذ خمسة أعوام عندما كانوا طلاباً في كلية الهندسة، والآن قد تخرج هو وبقية الدفعة، والضحكات الصاخبة تعلو من حوله فمثلاً أمامه مباشرة أمٌّ تعانق ابنها، ويشع من عينيها الفخ، عندها تذكر أمه التي توفيت في العام الماضي، كانت دائماً تناديه بالبشمهندس، كانت تدفعه للأمام بكلمات بسيطة، عكس والده (مرعي الخطاط) لا يتحدث إلا عن صفقاته ومشاريعه، وفي الهاتف مع رجاله، وموظفي الشركة، أما حديثه مع ابنه فهو محدود للغاية؛ أغلبه انتقادات عنيفة، ولكن (علاء) اعتاد على تلك المعاملة خصوصًا أن والده لا يذهب للمنزل كثيرًا؛ فهو يعتبر منزله مجرد غرفة نوم، ومكتبًا مغلقًا دائمًا، استمر (علاء) بمشاهدة الحفل في صمت، راسمًا على شفتيه ابتسامة هادئة، واضعًا يده على خده، ولا يتحدث مع أحد، ولا أحدًا من زملائه يهتم لأمره؛ فهو من عودهم على ذلك؛ فهو شخص انطوائي إلى أبعد حد، البعض يظنه متكبرًا لثروة والده، والبقية

يحسبونه مريضًا نفسيًا لصمته الدائم، وقليل منهم يقول: بأنه ممسوس، يتحدث مع الهواء وفي أغلب الوقت ينظر أرضًا، وتتغير ملامحه كأن شخصًا ما يخاطبه. اعتدل (علاء) وتبسم بصدق عندما شاهد فتاة تقترب منه حتى نهض ليصافحها، وجلست بجواره، هي أكثرهم معرفة ب(علاء)، وأكثرهم حبًا أيضًا لا تراه كما يراه الآخرون؛ فهي تعرفه منذ الطفولة، تشاهده منذ أن كان طفلًا في الإعدادية يحمل حقيبته، وينزل على الدرج بطريقة تشبه الرقص بقدم واحدة، يتبسم لها فتتبسم هي، ويتوقف للحظات حتى يناديه والده بصوته الغليظ فيركض إلى السيارة، اسمح لي أن أخالف توقعاتك، فتلك الفتاة ليست جارته، ولا يملك والدها منزلًا واسعًا؛ مثل منزل (مرعي الخطاط) فهي (هدى) ابنة عم (خليل) حارس المنزل؛ العقار المكون من أربعة طوابق في أرقى المناطق بالإسكندرية، اتخذه (مرعي الخطاط) لنفسه فقط لا أحد يسكن معه،هو يعيش مع ابنه في الطابق الأول، وعم (خليل) وبناته لهم غرفة صغيرة في الطابق الأرضي، العلاقة بين (علاء) و(هدى) لا تعرف المال؛ فهو يرى أن مهنة والدها شريفة، ولا لأحد الحق في التدخل بينهما، وهذا لا يعني أن والده يعلم بحب ابنه لابنة البواب كما يطلق عليه، وربما يعلم ولكنه مقتنع تمامًا بأن (علاء) لن يجرؤ ويفكر في الزواج منها... أما (خليل) الحارس فهو لا يعلم تمامًا بعلاقة ابنته بابن (مرعي الخطاط)،هدى تبلغ من العمر 19 عامًا، التحقت بكلية العلوم وهي الآن في السنة الثانية، أما أختها (عفاف) فتبلغ من العمر 17 عامًا وهي الآن في الصف الثالث الثانوي...اعتنى (خليل) ببناته بعد وفاة زوجته، وهن لم يخذلنه أبدًا، ولكنه اندهش عندما أبلغه أحد أصدقائه؛ بأن ابنته كانت جالسة مع (علاء) على شاطئ البحر منذ قليل، لم يكذب هذا الرجل بالفعل فقد خرج (علاء) و(هدى) من الكلية وجلسا على الشاطئ لدقائق ثم دلف

(علاء) سيارته، وجلست (هدى) بجواره وذهبا، من سوء حظهما ليس أن (خليل) علم بتلك المقابلة فقط، ولكن (مرعي) كان يقف في الشرفة ليشاهد (هدى) وهي تخرج من سيارة (علاء) بالفعل، هو غاضب الآن أكثر من (خليل) الذي قابل ابنته بنظرة اخترقت قلبها، حاولت (هدى) الهروب بعينيها من نظرة والدها لكنها فشلت، وظلت تنظر أرضًا...

-كنتي فين لغاية دلوقتي؟!!

قالها خليل وهو ينهض ويقترب منها ، تنحنحت (هدى) وهي تجيب بصوت منخفض...

-كنت في الكلية يا بابا.

زفر والدها وهو ينظر جانبه ويضم يده حتى لا يفقد أعصابه وقال:

-كنتي بتعملي أيه مع علاء ؟؟

-علاء!!!!

قالتها (هدى) وقبل أن تتابع لطمها (خليل) على وجهها وهو يقول:

-ليه كدا!!!؟؟

***

لم يختلف لقاء (مرعي) بابنه كثيرًا عن لقاء (خليل) بابنته، بعد أن لطمه على وجهه أيضا دلف (علاء) غرفته وأغلق الباب بقوة، وجلس على الفراش ليخلع نعليه، هنا فقط بدأ الاختلاف فهدى ليس لديها غرفة أخرى لتبكي فيها؛ لأن المنزل عبارة عن غرفة، ولكن لديها (عفاف) أختها الصغيرة التي احتضنتها وبكت معها، وهي تنظر لوالدها بحزن، أما (علاء) ليس لديه أحد يحتضنه عندما يشعر بالحزن، ولكن له صديق يدعى (سام) واسم سام يعني رفيع المقام أو الأمير، تعرف

إليه في المنام منذ سنة تقريبًا، كان يلتقي به عندما يخلد إلى النوم، يشكي له كل ما حدث في يومه، الغريب أن (علاء) كان يحسبه مجرد حلم حتى ظهر له (سام) في منتصف الليل، وهو شاب طويل القامة له ذقن سوداء صغيرة، وشارب رفيع يرتدي دائمًا بدلة سوداء وكأنه عريس، صحيح فرَّ (علاء) هاربًا في المرة الأولى، لكنه عاد وتحدث معه ليصبح صديقه المقرب،هو ليس مجرد نفر من الجان، بل هو قائد ولديه قدرات غريبة ومختلفة، يمكنه أن يزورك في منامك مثل ما فعل مع (علاء)، يمكنه أيضًا قراءة أفكارك والتحكم فيها، أما قوته فهي خارقة، بصيحة واحدة من فمه، يصبح جبل بأكمله مجرد تراب، يمكنه التحدث بكل اللغات حتى أنه يتحدث مع (علاء) بالعامية، ولكن حديثه ليس له صوت فهو يجعلك تشعر بما يقول... بالطبع من يملك صديقًا مثله فهو الفائز، ولكن لديه شرط؛ وهو عدم إفشاء سره لأحد، وعدم ذكر اسمه مطلقًا مهما كانت الأسباب، لذلك (علاء) لم يخبر (هدى).

***

ظل (خليل) يفكر في أمر ابنته... وماذا يفعل معها؛ فهو يشاهدها تبكي، ويريد أن يقترب منها ويحتضنها لتهدأ؛ خصوصًا أنها مصابة بمرض القلب، ولكنه يريد أيضًا أن يمنعها بأيِّ ثمن من الدخول في قصة لن تنتهي على خير، صحيح هو يتعامل دائمًا بهدوء ولم يضربها من قبل، ولكنه كان مضطراً لذلك، (هدى) أيضًا كانت تبكي ندمًا على ما فعلته بأبيها؛ فهي لأول مرة تشاهده بتلك الحالة البائسة، نهضت (عفاف) وجلست بجواره دون حديث حتى نظر إليها قائلً :

-عايزة تقولي أيه يا عفاف؟!

تبسمت (عفاف) وهي تنظر إليه قائلة بصوت منخفض:

-بابا متزعلش من هدى بس هي مبتعملش حاجة غلط وعلاء بيحبها.

ضرب (خليل) يدًا على يد وهو يقول:

-لا حول ولا قوة إلا بالله وأخره الزفت الحب دا أيه...

***

تعجب (علاء) عندما شاهد (سام) ينظر إلى الأرض فسأله عن السبب، ولكنه استمر في صمته لدقائق حتى أبلغه بأن (خليل) ضرب ابنته (عفاف) بعد حوار طويل دار بينهما، والوضع في الحجرة الصغيرة ليس بخير الآن، نهض (علاء) وارتدى حذاءه سريعًا، وخرج من غرفته متوجهًا إلى غرفة (خليل)، وقبل أن يطرق الباب توقف وهو يتساءل ماذا أفعل؟!! وماذا أقول له عندما يستقبلني غاضبًا؟، ولكنه سرعان ما طرق الباب بهدوء حتى فتح له (خليل) قائلًا

-أيوه يا علاء بيه ؟!

تبسم (علاء) وهو يقول:

-خير يا عم خليل كنت طالع وسامع صوت عالي... في مشكلة؟!

قبل أن يتحدث (خليل) نظر أمامه محدقاً العينين، فاستدار (علاء) برأسه ليجد أباه (مرعي) ينظر له بغضب ثم قال:

-بتعمل أيه عندك يا علاء !!

قالها بهدوء مصطنع فأجابه علاء:

-كنت بتكلم مع عم خليل في موضوع كده...

قالها وهو متوجهاً نحو الدرج، وبدأ بالصعود تاركاً (مرعي) و(خليل) غاضبان، لم يذهب (مرعي) ولم يدلف (خليل) غرفته، ظلا ينظران بعضهما لبعض.

بالداخل تجلس(هدى) مستمرة في بكائها حتى استمعت لصوت (مرعي) يعلو على أبيها ببعض الشتائم والإهانة تزداد، ويلقب بناته ببنات البواب، كانت تشعر بحجم الحزن الذي يسكن والدها الآن، ازدادت في البكاء وهي تقول لنفسها: أنا السبب، أنا من جعلت الأمور تصل إلى هذا الحد، ماذا أفعل الآن؟، كانت تنظر حولها، وكأنها تبحث عن شيء هي نفسها لا تعلمه، حتى استقرت عيناها على حقيبتها اقتربت منها مسرعة وبدأت تبحث بداخلها، مشرط معدني!! ماذا أفعل به؟ نعم ستخلص والدها من كل هذا ليرتاح وترتاح هي أيضاً من حبّ (علاء)، أحياناً يحتاج الحب إلى القليل من التضحية، ولكن هل تكون التضحية بالانتحار؟! أمسكت بالمشرط وهي تبكي وتنظر لأختها (عفاف) التي غفلت عنها منذ دقائق لتتابع ما يحدث بالخارج، اقتربت (هدى) بالمشرط من يدها تحديداً أسفل كفها، وقامت بقطع شريانها وهي تتوجع من الألم، ولكنها تكتم بشفتيها، سقط المشرط من يدها فأصدر رنيناً بعد اصطدامه بالأرض، وكأنه ينادي أختها: النجدة!! التفتت (عفاف) لتجد (هدى) على الأرض، والدماء تسيل بغزارة...

- يا الله ما هذا؟! فتحت (عفاف) فمها وهي عاقدة الحاجبين، ما كان عليها إلا أن تصرخ، وهي تمسك بيد أختها، وتحاول إيقاف النزيف، استمع (خليل) و(مرعي) لصراخ الفتاة فدخلا الاثنان ليشاهدوا نفس المشهد، ولكن الدماء أصبحت أكثر على الأرض، جلس (خليل) على ركبتيه وهو يبكي أما(مرعي) فشعر بالذنب، وصعد مسرعاً ليطلب سيارة الإسعاف، استمع (علاء) لصوت أبيه وهو يبلغ عن حادث في منزله، فنهض بسرعة وهو يسأله ولكن والده لم يجب، عاد (علاء) إلى غرفته ليبحث عن (سام) فلم يجده، ظل يفكر هل فعل والده شيئاً ب(خليل)؟! هل أسأله مرة أخرى لعله يتحدث؟!، لأول مرة أشاهد أبي هكذا، وجهه يتصبّب عرقاً وشفتاه ترتعشان خوفاً، قاطع أفكاره صافرة الإسعاف التي توقفت أسفل المنزل، كان يظنها قد أتت لنقل

الشاب الذي تعرض لطلقة نارية منذ قليل من قبل مجهول، ولكنه تذكر أنها رحلت، فذهب مسرعاً إلى الشرفة وظل يترقب يميناً ويساراً،حتى وجد رجلان يحملان (هدى) على نقالة ودلفا بها سيارة إلى الإسعاف، والتي انطلقت بعد إغلاق الباب مباشرة، كاد (علاء) أن يقفز من الطابق الأول ولكنه غادر الغرفة من بابها، ومرّ من أمام أبيه دون أن يمنعه، نزل الدرج في أقل من دقيقة ليصبح في منتصف الشارع، و سيارة الإسعاف على بعد أمتار بسبب ازدحام الطريق، لم يفكر في سيارته، وظل يركض ورائها لنصف ساعة كاملة.

المستشفى من الداخل...

يكثر رجال الشرطة بالمكان لسبب غير مفهوم، والتمرجي يحاول المرور بسرعة بالنقالة التي تحمل (هدى) ووالدها بجوارها يركض ويبدو على وجهه القلق الشديد، كان التمرجي يسأل إحدى الممرضات عن سبب وجود رجال الشرطة هكذا... فأبلغته أن إحدى الجثث تم اختفاؤها منذ قليل.

والآن قد وصل (علاء) وظل ينظر يميناً ويساراً حتى وجد (خليل) جالساً يبكي، فأقترب منه قائلاً:

-أيه اللي حصل لهدى؟!

نظر له الرجل بخيبة وهو يحاول منع دموعه ثم قال:

-قول لأبوك إن ذنب بنتي ف رقبته...

حدق (علاء) وهو يقول منفعلاً:

-ماتت!!

كررها مرة أخرى بصوت عالٍ حتى التفت إليه الجميع، فغادر المستشفى وهو يركض متوجهاً نحو منزله ...

***

القاهرة سنة 2016

قد يأتيك الوهم في صورة صدفة، فلا تجعله يسكنك بتلك الحيلة...

***

انتهى (وائل) من آخر رشفة ووضع فنجان القهوة بجواره، وبدأ يكتب روايته التي أخذت كل تفكيره ووقته، هو حتى الآن لا يعلم نهايتها... تدور أحداث الرواية حول شاب اسمه (صادق) يريد الزواج بالفتاة التي أحبها منذ عام وهي (منى) ولكن والدها دائماً يرفضه؛ لأنه مازال طالباً في كلية التجارة، وليس لديه شقة أو عمل...

يقول (وائل) في روايته: عجبا لنا كشباب نريد الزواج بمن نحب، دون أن نتأمل الواقع أو نضع الأساس أولا قبل أن نبدأ في البناء، الحب ليس سبباً كافياً للزواج، ربما يتزوج (صادق) ب(بمنى) ولكن ماذا بعد!! تراقبهم عراقيل الحياة عن بعد، تنتظر دخولهم في منزل صغير لتقتل كل ما هو جميل...

أغلق (وائل) ملف روايته وأغلق جهاز الكمبيوتر، ونهض ليخرج من غرفته، ويقبل يد أمه؛ فاليوم أول أيام عيد الأضحى المبارك، وبالفعل بدأ التكبير في الجوامع المحيطة بالمنزل، ولكنه سيذهب للصلاة بمفرده، فوالده متوفىً وأمه مريضة لا تستطيع النزول دائماً، ربما

سيلتقي ببعض الجيران والأصدقاء في ساحة الصلاة، ارتدى (وائل) قميصه الأبيض، وامسك بسجادة الصلاة الناعمة وخرج، عندها نهضت أمه ببطء وهي تتوجع من الألم، هي تبلغ من العمر 45 عاماً؛ ولكنها تعرضت قديماً لصدمة جعلت عظامها تضعف حتى أصبحت وكأنها في سن الثمانين...غير أنها مصابة أيضاً بمرض القلب منذ ولادتها...دلفت غرفتها، واقتربت من الكومود وأخذت صورة صغيرة بين إطار مذهب اللون، وقبلتها وهي تقول:

-الله يرحمك يا حسن كان نفسي تكون معانا.

احتضنتها لثوان فهي صورة زوجها الذي توفي منذ أعوام، الطبيب الخلوق، كان الزوج الصالح بمعنى الكلمة فهو لم يبكها يوماً، أو يعايرها بمهنة والدها، فهو تزوجها لأنها (هدى) فقط الفتاة الطيبة...ابنة حارس العقار المجاور له، وضعت البرواز كما كان، ثم استدارت متجهة نحو الدولاب، وأخرجت منه صندوقاً صغيراً ثم جلست على الفراش تقلبه حتى أمسكت بصورة أخرى صغيرة لشاب؛ يبدو أنها قديمة، ظلت تنظر لها متبسمة بحزن ثم وضعتها وهي تقول:

-يا رب تكون بخير يا علاء .

***

استيقظت عفاف لتجد ابنتها إسراء جالسة ووجهها تبدو عليه السعادة، ظلت تنظر متبسمة قليلاً تتأمل منزلها وابنتها، وتحمد الله أن (إسراء) أتت إلى الدنيا في منزل واسع أثاثه أنيق، ولها غرفة خاصة عكس نشأتها التفت إليها ابنتها ...

فتبسمت لها عفاف قائلة:

-سوسو فرحانة كده ليه؟!

نظرت لها الفتاة بدهشة وهي تقول:

-ماما مش انهاردة عيد بقى وكده!

ضحكت عفاف فتابعت إسراء...

-يعني خالتو جايه انهار ده...

-لا يا حبيبتي خالتو تعبانه مش هتقدر تيجي...

ظهر الحزن على ملامح إسراء ولم تتحدث...

-بس وائل هيجي طبعاً...؟!

قالتها عفاف وهي تبتسم فاتسعت ابتسامة إسراء وأحمر وجهها... فتابعت عفاف...

-آه يا جزمة يعني مزعلتيش إن خالتك مش جايه؟!

-يا ماما ما هو وائل ابنها؟!وأنا بحب لمة العيد...

أومأت (عفاف) متبسمة وذهبت.

جلست إسراء أمام التلفاز تشاهد أفلام الكارتون كعادتها، ورغم أنها بلغت الثمانية عشر من عمرها إلا أنها تحتفظ بجزء كبير من طفولتها، مرت لحظات واستمعت لصراخ أبيها المريض بالسرطان فذهبت إليه مسرعة، وبفزع قالت:

-مالك يا بابا؟!

تبسم والدها وتحدث بصوت مرهق قائلاً:

-متخافيش يا حبيبتي دا كابوس مزعج...

هي تعلم جيداً أنه يتألم بسبب مرضه، ولكنه يخفي عليها، لذلك كانت تبكي خائفةً بين ذراعية وهو يستسلم كعادته ويقول:

-يا حبيبتي متخافيش شوية تعب وهيروحوا...

نظرت له إسراء، وهي مازالت تعلم بخطورة الأمر لأنها لم تعد طفله، ثم قالت:

-طب قوم كُل معانا فتة وتفرج على كارتون...

ضحك الأب وهو ينهض ببطء، وجلسا أمام التلفاز، عندها كانت عفاف قد انتهت من الاستحمام ودلفت غرفتها لتضع مساحيق التجميل لتصبح وكأنها في الثلاثين من عمرها، وجلست بجوارهما.

في الوقت نفسه ارتدى (وائل) ملابسه وودع أمه ليسافر لخالته (عفاف) في الإسكندرية، فهو مثل والده لا ينسى أقاربه أبداً...

دعني أحدثك عن وائل قليلاً: هو شاب يبلغ من العمر 24 عاماً، تخرج من كلية الآداب قسم علم نفس، ولكنه يهوى الكتابة منذ الصغر، صحيح لم تأت فرصة عمل جيدة لكنه يريد أن يثبت نفسه في عالم الأدب، يتميز وائل في رواياته بخداع القارئ مهما كانت توقعاته، لا يستخدم أساليب قديمة كالأفلام المصرية التي يستيقظ فيها البطل من نومه في آخر مشهد أو يكتشف البطل بأنه مصاب بمرض نفسي، ولا وجود لحبيبته، هو يعتمد على التشتيت والدخول في أكثر من مشهد لتكتشف ف النهاية أشياء لم تكن تعلمها...

وصل (وائل) إلى محطة قطار سيدي جابر بالإسكندرية، واتخذ نفقاً ليصل به إلى شارع أبي قير وعبره، واتخذ يمينه ليرى أمامه شارعاً كبيراً،هو بالفعل الشارع المؤدي إلى منزل خالته فهو يتذكره بمسجد الرحيق المختوم، تحرك وائل بخطوات صارمة، وهو ينظر جانبه ليجد فتاة تقع على الأرض مغشياً عليها، ركض وائل نحوها بسرعة وجلس بجوارها رافعاً رأسها، محاولاً إيقاظها وهو يناديها: يا آنسه، يا آنسه. اجتمع حولهما بعض الرجال فمنهم من أحضر كرسياً من المقهى المجاور، ومنهم من أحضر كوب مياه ولكنها لم تحتج إلى كل هذا لأنها

استيقظت بفزع، ونهضت مستندة على يده وذهبت، نظر وائل إليها وهي تمشي بسرعة كأنها لم تقع منذ قليل، تفرقت الرجال، وكل منهم عاد لمكانه عدا وائل ظلّ واقفاً ينظر لها بتعجب، يا لها من فتاة غريبة فهي لم تتحدث، ولم تنظر إلى أحد، ولكنها نظرت إلى وائل، والذي تأمل عيناها في أقل من ثانية ليقرأ ما فيهما، تلك العينان الزرقاوان تملأهما الدموع، من الداخل يبدو عليها اليأس رغم سنها الذي ربما لم يصل العشرين، تحرك وائل ببطء متجهاً نحو منزل خالته ووجه الفتاة لم يفارقه.

وصل أمام المنزل وصعد الدرج ليصبح أمام الشقة، دق جرس الباب فاندفعت إسراء بلهفة مما لفتت انتباه والديها، وفتحت الباب حتى وجدت وائل أمامها، ابتسمت إسراء وهي تقول:

-أيه دا وائل ؟!!

ابتسم وائل قائلاً:

-طب مش تاخدي الأكياس يا بنتي بدل ما انتي واقفة كده؟!

ضحكت إسراء وأخذت أكياس الفاكهة، فخلع وائل حذائه وتقدم وهو يلقي السلام، وقبّل خالته وزوجها وجلس، عادت إسراء وجلست بجواره تتحدث معه لكنه يتجاهلها بردود قصيرة، ويكمل حديثه مع الجالسين فهو لا يعلم مدى حبها له، وهي أصبحت حزينة لأنه لم ينظر لها رغم مساحيق التجميل التي وضعتها لأول مره لتخبره بأنها أصبحت آنسة، وليست طفلة كما يراها الجميع.

***

يجلس (مراد)يحتسي الخمر كعادته، وأمامه تجلس زوجته (حنان) التي يئست منه كرجل مسئول عن منزل، فهو لا يعمل منذ سنوات

وأخيراً قد أدمن شرب الخمور، ولا يهتم لأمر أحد، رغم أنه فعل الكثير ليتزوج حنان في الماضي، لكنه يتعامل معها الآن كامرأة خادمة في منزله، أما ابنته رباب فهي تتخذ غرفتها دائماً كمنزل خاص بها ولا تتحدث مع أحد، اعتادت رباب على الوحدة منذ الصغر فوالدها لا يعطيها فرصة للحديث، ووالدتها تراها طفلة رغم أنها أصبحت في الثمانية عشر من عمرها... تعتبر صديقتها الوحيدة إسراء فهي جارتها منذ الطفولة، وزملاء في الدراسة وحالفهما الحظ أن يجمعهما التنسيق الجامعي في كلية واحدة وهي كلية الطب، دائماً رباب تشعر بالاكتئاب، ويضيع معظم وقتها بين صفحات الفيس بوك، لا تتحدث مع أحد، هي تقلب فقط وتشارك مواضيع مختلفة لتقتل الملل بداخلها، ولكنها لا تعلم بأن هذا الموقع في الحقيقة هو منبع للملل ولكن بطريقة شيطانية.

***

العاشرة مساءً

(منزل فرج الدمنهوري)

-والله يا معلم البوليس شادد علينا اليومين دول...

قالها رجل جالس في منزل (فرج الدمنهوري) تاجر السلاح، الرجل الذي اشتهر بقلبه الميت وصوته الغليظ وأسلوبه الحاد مع الجميع، نظر له فرج، وهو يحتسي الجوزة ويزفر الدخان متبسماً ثم قال:

-ورحمة عصام لو الفلوس دي مجتش خلال يومين هتكون رقبتك بدلها...

تراجع الرجل برأسه خوفاً، وهو محدق عينيه ثم نهض وهو يقول:

-متقلقش يا كبير في معادنا...

تركه الرجل ليبقى (فرج) بمفرده يضحك من سذاجة هذا الغبي؛ فهو يعلم أنه باع بضاعته وخسر المال في لعب القمار، ولكن (فرج) يمشي بمبدأ الصبر وإن نفذ اتجاه شخص نفذت روحه بعدها، انتهى (فرج) من ضحكاته الصاخبة، ثم نهض وتوجه نحو الشرفة التي تطلُّ على الشارع، وظلّ ينظر إلى أسفل بحزن، يتذكر لعب الكرة في صباه وصوت أمه، التي كانت تناديه من تلك الشرفة، ويتذكر أيضاً مقتل صديقة (عصام) أمام عينيه في منتصف الطريق، هي كانت نقطة التحول في حياته، ولكن الذي قتل قلبه حقاً، ذلك اليوم المشؤم الذي مرّ عليه أكثر من خمسة وعشرين عاماً، ذهبت الإسعاف بصديقه (عصام) ليجد سيارة إسعاف أخرى تحمل ابنة (خليل) حارس المنزل المجاور له، قد انتحرت دون سبب معلوم...بعدها أخذ (خليل) ابنته عفاف وسافر إلى مدينة أخرى لا يعلمها فرج، أحداث كثيرة مرت عليه في تلك البقعة بعدها توسعت تجارته ليعرفه الجميع، والحكومة تعلم أيضاً، لكنها لم تجد أي دليل رغم تفتيش المنزل أكثر من مرة، فهو لديه من يخبره بقدوم الشرطة، ولكنها إن أتت اليوم ستجد الكثير من الأسلحة المختلفة، أخذها (فرج) كعينة لصفقة جديدة...لم يكن بمفرده في المنزل فهو لديه (رقية) ابنته التي تبلغ من العمر عشرة أعوام أنجبتها زوجته، وتوفيت بعد الولادة مباشرة لذلك هو يعتبر الأب والأم رغم عمله لكنه معها الأب الحنون.

عاد وائل إلى القاهرة ولم تفارقه ملامح تلك الفتاة طوال رحلته، ظل يسأل نفسه: لماذا لم أذهب ورائها وأحدثها؟!، ثم يرد بداخله: لا، ماذا كنت أفعل لو صرخت في وجهي... قائلة: متحرش !! ثم عاد يسأل نفسه مرة أخرى: لماذا لم أذهب ورائها لأعلم أين منزلها؟! ثم ردّ بداخله: لا،ماذا كنت أفعل لو ظنت بي سوءاً، وقالت: هذا هو سفاح الإسكندرية، ويريد اختطافي، ظلّ علي هذا الوضع حتى قاطعه صوت أمه... وهي تقول:

-لا دا إنت مش معاية خالص...

التفت إليها (وائل) متبسماً وهو يقول:

-لا أبداً بس تعبان من السفر شوية...

تبسمت أمه قائلة:

-شفت خالتك وعمك خيري وإسراء؟!

-آه شفتهم وبيسلموا عليكي أوي...

قاطع حديثهم رنين هاتف (وائل) فرد قائلاً:

-ألو ...أيوه خالتو خير بتعيطي ليه؟!

بدأ الحزن يظهر عليه وصمت قليلاً ثم قال:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا جاي حالاً...

السؤال الذي أسأله لنفسي دائماً، لماذا ترحل أغلب الأقارب لدينا في الأعياد !!

لقد أبلغته خالته (عفاف) بأن زوجها ذهب للنوم منذ قليل، وعندما ذهبت (إسراء) لتطمئن عليه فوجدته متوفي، فصرخت وأغشي عليها، بالطبع سيذهب إليهم مرة أخرى ولكن ستذهب أمه معه فالأمر أصبح واقع .

***

السادسة صباحاً...

(منزل عفاف)

تجلس إسراء منهارة، وتبكي بشدة على والدها، وعفاف تحتضنها وتبكي أيضاً، كانت إسراء في تلك اللحظة تتمنى الموت بدلاً من أبيها؛

فهو كان سنداً لها وظهر، كانت بجواره لا تخشى شيئاً، أما الآن فهي أصبحت عارية، لا تعلم ماذا تفعل؟! وتتمنى أن تستيقظ الآن من ذلك الكابوس المفزع.

دق جرس الباب فذهبت عفاف لترى من الزائر...

-خيري مات يا هدى...

قالتها عفاف وهي تبكي عندما شاهدت أختها ووائل أمامها، فعانقتها وأخذهم وائل للداخل، وأغلق الباب، تبادلتا البكاء الشديد والحديث عن المتوفى، أما وائل جلس بجوار إسراء وقبل رأسها قائلاً:

-اهدي يا إسراء كلنا هنموت يا حبيبتي قومي اغسلي وشك...

مازالت إسراء تبكي وتبدو أكثرهم حزناً على وفاة أبيها، يبدو عليها عدم التركيز شاردة تنظر حولها، وتبكي بشدة، وكأنها لم تصدق ما حدث.

دائماً وفاة أقرب ما لدينا يكشف لنا جزء كبير من الواقع، يجعلنا كالنائم الذي يعيش في كابوس ويريد أن يستيقظ منه ولم يستطع.

-قومي نامي شويه يا إسراء،إنتي منمتيش من إمبارح...

قالتها عفاف لابنتها وهي تبكي، لكن الفتاة لم تستجيب لحديث أمها، وتزداد بكاءً كلما تحدث أحد

-هو المرحوم فين دلوقتي...؟

قالها وائل فردت خالته:

-في الأوضه جوا مستنين عم محروس، يجي يغسله، والجنازه هتطلع بعد صلاة الضهر...

سرعان ما نهضت إسراء، ودلفت غرفة أبيها المتوفى، ونامت بجانبه واضعة يدها على صدره، ذهب وائل وراءها ليجد هذا المشهد المؤثر، والذي أبكاه في صمت، جلس وائل ليجد إسراء تتحدث مع أبيها بصوت منخفض وكأنه يستمع إليها، كانت تقول:

-بابا بالله عليك قوم متسبنيش، أنا مقدرش أعيش من غيرك...

مش إنت كنت بتقولي البنت من غير أبوها زي العروسة من غير عريس، قوم عشان خاطري...

كانت الكلمات تخرج منها، تقطع قلب وائل الذي يجلس على حافة الفراش، ولا يعلم ماذا يقول أو يفعل، إلا أنه أمسك بيدها قائلاً:

-إسراء إنتي كده بتعذبيه قومي معايه!!

طاوعته إسراء بهدوء، وذهبت معه إلى الخارج مرة أخرى وبدأت تتوقف عن البكاء تدريجياً

بعد قليل دق جرس الباب مرة أخرى، فنهض (وائل) وفتح الباب ليرى من بالخارج، يا لها من صدفة غريبة، لم يصدق (وائل) عينيه عندما شاهدها مرة أخرى هي الفتاة التي سقطت على الأرض في البارحة، ظل ينظر لها بدهشة وفكه يتساقط ، نظرت له الفتاة وهي تقول بحدة

-طنط عفاف موجودة ؟؟

أومأ (وائل) برأسه وهو يفسح لها الطريق، فتقدمت الفتاة وهي تلقي السلام بصوت منخفض ثم قبلت إسراء واحتضنتها بقوة والدموع تتساقط من عينيها، ولم تتحدث.الكل جالس في موضعه إلا (وائل) يقف عند باب الشقة ينظر للفتاة حائراً...ماذا يقول ويسأل نفسه: هل هي تتذكره الآن، ليس هذا فقط من جعله يصل إلى تلك

الحالة، الغريب أن (صادق) التقى ب(منى) بطريقة تشبه هذا المشهد كثيراً في رواية (وائل)، عندما وقعت (منى) متعرقلة بإحدى الصناديق استندت على (صادق)، وهي لا تعرفه فتعلق بها كثيراً وذهبت والتقى بها في عزاء عميد كلية التجارة. كان الوضع مخجلاً عندما سألته خالته لما يقف هكذا؟ فتنحنح وهو يغلق الباب، وجلس أمام الفتاة بصمت، يريد أن يعرف اسمها، يريد أن يعلم من تكون وما علاقتها بهم، لقد نسي تماماً أن جثة زوج خالته بالداخل، حتى استمع لخالته وهي تشكرها وتذكر اسمها (رباب)، عندها تبسم (وائل) لكنه تراجع واعتدل عندما تذكر الوضع، ولكنه لم يلتفت لغيرها، وهي بالفعل بدأت تنظر له بعينيها الزرقاوين الجميلتين حدقت إليه، ربما قد تذكرت شيئاً، وبالفعل تبسمت له بهدوء ثم نظرت أرضاً لتأكد له بأنها تتذكره جيداً،عندها دق قلبه وكاد أن يخترق صدره من شدة الضربات المتتالية فهي المرة الأولى، والشعور الأول بالحب... يا له من شعور جميل يأتينا وكأنه يأخذنا إلى عالم آخر، ليس به إلا سعادة، لا نعلم وقتها شيئاً كالأطفال الذين يضحكون فرحين بهدية صغيرة، وهم لا يعلمون بأن والدهم لم يشتري حذاءً جديداً، واكتفى بإصلاح قميصه الذي ذابت خيوطه...

حقاً من لا يعلم يظل سعيداً....

***

عودة سام وفريقه...

اجتمع (سام) في قصره بفريقه المكون من ثلاثة، وهم (الريحاني) اسم مشتاق من الرياح فهو من الجان الطائر، وله سرعة رهيبة، غير أنه أكثرهم قوة بعد (سام) وأكثرهم إخلاصاً له ، (سامية) هي من الجان الناري، وتعتبر أكثرهم أهمية فهي من أصول الجان التي خلقت

من مارج من نار، (آدم) هو من الجان الترابي الذي يتشكل بسهولة في صورة أي شخص ويتحدث بصوته كأنه هو، كوّن (سام) فريقه على مراحل بعد خيانة زوجته له، قام بقتلها هي ومن معها ورحل عن عالمه ليتواجد في عالم البشر، اتخذ قصره لسنوات عديدة لم يخرج منه أبداً حتى أتت له فكرة وهي الانتقام من كل خائن، ولكن في عالم البشر، لأن زوجته كانت واحدة منهم فهو لم يكتف بقتلها... يقول: أن القتل فيه شيء من الراحة... ولابد من التدمير النفسي قبل القتل. كانت جولته الأولى عندما تعرف على (علاء) قديماً، وظل معه صديقاً مخلصاً حتى استمع إلى فتاة من الجان تصرخ وهي (سامية)، خرج من غرفة (علاء) ليجدها تهمهم في منتصف الطريق... وتقول: قتل صديقه... فنظر أمامها ليجد شاباً غارقاً في دمائه في منتصف الطريق، فذهب إليها ليعلم ماذا حدث لهذا الشاب؟ لذلك عندما عاد (علاء) إلى غرفته ليسأله: لماذا والده يطلب سيارة إسعاف لم يجده.

وقف سام أمام فريقه ليبلغهم بالجديد، لقد قرر العودة مرة أخرى لعالم البشر، ربما حان دوره في الانتقام من خائن ترحم على ضميره، وهم بالفعل يستمعون له بآذان صاغية.

***

انتهى العزاء وعاد وائل وأمه إلى منزلهما بالقاهرة، وبينما وائل جالس يتصفح حسابه الخاص علي الفيس بوك فإذا بطلب صداقة يأتيه من فتاة بإسم (رباب أبو كليلة) ارتجف قلبه ووافق على الطلب وبدأ المحادثة...

-مساء الخير...

أرسلها وائل وأصابعه ترتعش وكأنه يدخل شفرة لقنبلة...

-مساء النور...

-حضرتك تعرفيني...

-تقريباً آه مش حضرتك وائل ابن خالة إسراء...

-بالظبط كده، أوعي تقوليلي إنك رباب صحبتها...

-بالظبط كده...

توقف وائل عن الكتابة لثوان ثم قال:

-في بوست عندي ممكن تقريه أنا عملتلك منشن...

انتقلت رباب إلى الإشعار الذي أتاها من قبل وائل، لتجد منشور مرفق معه صورة قلب بتاريخ البارحة وكان محتواه...:

(للي بنقابلهم صدفه في حياتنا في الوقت الصح، في الوقت اللي بنبقى محتاجين حد معانا ومش أي حد، حد عنيه بتقول: إنه هيكملنا وهيسمعنا... لكن يا خسارة ما لحقتش اأولها إني أنا عايزها معاية بس حاسس إني هشوفها تاني)

انتهت رباب من قراءة المنشور وجلست متبسمة في غرفتها...

أما وائل ظل يرسل لها ...

-أيه فينك!!! إنتي زعلتي صح؟! على فكره أنا ممكن أمسحه عادي.

تذكرت رباب أن وائل ينتظر ردها فعادت مرة أخرى للمحادثة قائلة:

-معلش كنت بكلم ماما...

-طب الحمد لله.

-على أيه ؟!!

-إن إنتي مزعلتيش يعني ...

طالت المحادثة بينهما لساعات وانتهت بتبادل أرقام الهواتف...

ما أجمل الحب في مراحله الأولى والسعادة التي تكمن بداخلنا عند الحديث بطريقة غير مباشرة قبل الاعتراف، والذي لا نعلمه أن النهاية تأتي بحزن بقدر ما أسعدتنا البداية ...

لأننا نعطي مشاعرنا بطريقة لا إرادية إلى الطرف الآخر كلها، بعدها نهتم بأشياء أخرى طبيعية كالدراسة أو العمل أو الأصدقاء فتتراجع بعض المشاعر إلى تلك الأشياء، ويصبح ذلك الحب أقل أهمية مما كان، ولا مانع من ظهور بداية جديدة لتنتقل إليها تلك المشاعر، ويصبح هذا قديم بالنسبة لنا.

***

اليوم الثاني...

توقفت سيارات الشرطة أسفل منزل (فرج الدمنهوري) وانتشر جنود الأمن المركزي في الشارع ليحاصروا المنزل من كل الجهات، سرعان ما أمسك أحد الشباب بهاتفه ليبلغ (فرج) بتلك الحملة الوعرة، وهو الشاب المكلف بمراقبة الشارع، ويطلق عليه (النادورجي) ولكن من سوء حظه إن الذي أبلغ عن معلمه، أبلغهم أيضاً بموقع الشاب، ومهمته لذلك تم القبض عليه، استيقظ (فرج) ليجد مكالمة فائتة من (النادورجي)، فشعر بأمر غريب نهض مسرعاً وأغلق جميع المصابيح، ونظر من النافذة، ولكنه استمع لصوت خطوات على الدرج تقترب من باب شقته، أخرج سلاحه واقترب من الباب، وقبل أن ينظر من العدسة الصغيرة التي تتوسط الباب أضاء المصباح فجأة، فنظر خلفه ليجد ضابط شرطة يضع مسدساً نحو رأسه، لقد دخل المنزل من الشرفة، وتم القبض على فرج الدمنهوري وبحوزته 50 قطعة من الأسلحة النارية المختلفة، استسلم (فرج) بهدوء ووضع سلاحه أرضاً، ولكنه طلب من الضابط المكلف بالقبض عليه، أخذ ابنته معه

بطريقة إنسانية فهي نائمة ولن تتحمل مشاهدة أبيها بتلك الصورة، الغريب أن المخبرين نفوا تماماً وجود ما يتحدث عنه، ولا وجود لأي أطفال، غضب (فرج) وصاح في وجه الرجل الذي تحدث، ولكنهم ظنوا أن المجرم يريد الهرب وما هي إلا مجرد خدعة فأخذوه إلى البوكس، وانطلقت السيارات، الرجل لم يكن كاذباً، فعلاً رقية لم تعد في المنزل، أخذتها سامية عندما أحست بالخطر عليها وهي من استمع فرج لخطواتها خلف الباب...

***

أصبحت (رباب) متبسمة دائماً بعد أن كان الحزن يسكن ملامحها ليلاً وصباحاً، تعلمت على يد (وائل)... أن طريق السعادة ليس صعباً على أحد أن يدلف منه، ولكنه يحتاج فقط لابتسامة كتذكرة دخول،هي كانت تحتاج لشخص مثله متفائلاً دائماً،خفيف الظل له فكاهات شيقة تجعلها تضحك في الهاتف كل يوم، ولكن ملعونة تلك المسافات التي تفرق بين الأحبة فبينها وبين وائل أكثر من ثلاث ساعات في قطار سريع، صحيح أن (وائل) يذهب إلى الإسكندرية كل أسبوع لمقابلتها، ولكنها تريد المزيد، دائماً ينتظرها أمام الكلية فتخرج هي وإسراء ابنة خالته يصافحها ويتحدث معها قليلاً ويمسك بيد رباب ويذهبان، ولو نظر وائل خلفه سيرى دموع إسراء التي تسيل في كل مرة يذهب هو مع رباب، إسراء ترى نفسها أحق بوائل فهي تعرفه قبلها وتحبه قبلها، ومن المؤكد أنها تعشقه أكثر من رباب، ولكننا هكذا نحب أشخاصاً لنترك من يحبنا بصدق، ولا نرى ذلك إلا بعد أن نرى كل وجه على حقيقته، نحن لا نعلم أن السعادة بين يدي الذي يحبنا لا الذي نحبه وأحيانا نعلم ولا نستطيع اتخاذ أي قرار.

-عندي ليكي مفاجأة...

قالها وائل لرباب فاتسعت ابتسامتها قائلة:

-خلصت روايتك...

هز وائل رأسه بالنفي وهو يقول:

-عايز أخطبك...

نظرت له رباب بدهشة وقبل أن تتحدث تابع هو:

-قولي لعم مراد إن في شاب ابن حلال جاي يخطبني الخميس الجاي...

لم يفسر (وائل) وقتها نظرة (رباب) هل هي حزينة حقاً!! عندما نظرت أرضاً ولم تتحدث، صحيح بعدها حاولت الابتسام، لكنها تصنعت أكثر من اللازم، هو لا يعلم شيئاً عن والدها، بالطبع هي تعلم أنه لن يوافق على مقابلته من البداية، شاب لا يعمل يعيش مع أمه وسيتزوج ويعيش مع أمه، ووالدها يريد أن يزوجها ل رجل ذي شأن، لديه حسابات في جميع البنوك، وكأن (رباب) قطعة من الذهب يخفيها مراد عن عيون الناس حتى يأتي علي بابا، ويعطيه الصندوق الثمين، ويأخذها ويرحل، لا يهم ماذا يفعل بها أو معها حتى وإن عاملها كما يعامل مراد أمها، طالما سيدفع فهو حر بها...

ذهبت رباب وذهب وائل وكل منهما يفكر في أمر: رباب تفكر ماذا تقول، ووائل يحاول تفسير رد فعلها الغريب، هو يسأل نفسه: هل هي لم تتمنى الزواج بي، ورباب تسأل نفسها: هل والدها سيطرح الكثير من الأسئلة العنيفة قبل أن يرفض، جلس وائل في القطار، دلفت رباب منزلها... أراح وائل ظهره حتى نام، جلست رباب أمام أبيها حائرة، وهو ينظر لها بطريقة غير مباشرة، هو يعلم بأنها تريد الحديث، وهي تعلم أنه ينتظر الصوت الذي سوف يصدر من فمها الآن

-بابا في واحد عايز يقابلك...

قالتها رباب وهي تنظر أرضا عاقدة حاجبيها، وكعادة مراد لا يحب أن يسأل كثيراً طالما فهم... يريد أن يؤكد الكلام فقط، نظر لها متبسماً بنصف واحد من شفتيه ثم قال:

-عريس يعني!!

أومأت رباب برأسها متبسمة بخوف شديد:

-بيشتغل أيه!!

نظرت له رباب حائرة ماذا تقول فهز هو رأسه ساخراً ثم قال:

-قوليله ميجيش وأقطعي علاقتك بيه ...

ثم نهض وهو يتابع...

-شاطرة حبيبتي بتسمع الكلام عشان كده مكافأتي ليكي راحة شهر من الكلية...

ثم نظر لها غاضباً بعينيه الحمراوين من أثر الخمر وقال:

-لو نزلتي هكسر رقبتك...

لم تتحدث رباب هي تعلم أباها جيداً، إن تحدثت أو نهضت سوف ينقض عليها كالذئب الذي يلتهم دجاجة صغيرة، فلا يغرها صوته الهادئ، فهو كالثعبان يتحرك ببطء ويتحدث ببطء حتى يري رد فعل مخالف لرغباته، والآن قد أخذ هاتفها، وأغلقه لتبقي رباب وحيدة في غرفتها...

***

-الهاتف الذي طلبته غير متاح حالياً من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق...

تلك الرسالة المسجلة السخيفة يستمع إليها (وائل) للمرة الخمسين، عندما طلب رباب على الهاتف، بدأ القلق يسكن قلبه ويطرح عقله عدة أسئلة بمراجعة نظرات رباب وصمتها... هل هي من أغلقت هاتفها لأنها لا تريد الزواج بي؟!! ،هل هي تتمنى الزواج من شخص آخر؟!، أحياناً نظن كثيراً عندما نرى مشهداً غير مكتمل، ولكننا دائماً نخطئ في الظن الصحيح، جلس حائراً أمام روايته لعلها تأخذه إلى هناك، يعيش فيها قصة حب قوية بين صادق ومنى، ظل يقرأ ما كتبه، ولكنه لم يستطيع كتابة حرف واحد جديد، هي حتى الآن لم تتعدى ألف كلمة؛ أي أنها في البداية، بعد دقائق أخذ يفكر في (رباب) مرة ثانية، ولكن بوضع حلول ليعرف ماذا حدث؟! الحل الأول أن يذهب لخالته، ويسأل عنها (إسراء)، الحل الآخر: أن يذهب إلى منزلها مباشرة ويتحدث مع والدها، ولكن هذا يحتاج إلى كثير من الشجاعة، سيفعلها ربما.

لم يفكر بعدها للحظة، نظر لساعته ليجدها العاشرة صباحاً إذاً سيأخذ أي قطار سيقابله ويصل الإسكندرية في ميعاد مناسب، فهي أخبرته أن والدها معاش مبكر لا يعمل، ارتدى (وائل) ملابسه وخرج من المنزل، كانت هي المرة الأولى التي يخرج فيها دون علم أمه، ولكن لا بأس فحالته تشفع له، لا تلوم ثلاثة النائم، والجائع، والحائر، ف الأول غير مسئول عن أفعاله، والثاني مجبر على أمره، والثالث لا يفكر في شيء إلا معرفة الحقيقة، دلف (وائل) القطار عندما استمع إلى رجل يتحدث مع ابنته في الهاتف، ويبلغها بأنه سيصل إلى الإسكندرية بعد ساعات فهو الآن في القطار، جلس الرجل وجلس (وائل) بجواره، انتهى الرجل من المكالمة وتحرك القطار،عندها نظر الرجل ل(وائل) وابتسم فابتسم له أيضاً، نحن كمصريين نود الحديث دائماً مع الجالسين بجوارنا في وسائل المواصلات، خصوصاً في الرحلات الطويلة لذلك تحدث الرجل قائلاً:

-يااه أنا مش مصدق إني هشوف بنتي...

التفت إليه (وائل) متبسماً ثم قال:

-توصل بالسلامة إن شاء الله.

أومأ الرجل برأسه ثم قال:

-عارف يا وائل الحياة دي قصيرة أوي أقصر من سفرنا دا...

التفت إليه (وائل) مرة أخرى ولكن بدهشة محدقاً عينيه كيف ينطق باسمه، وهو لأول مرة يشاهده، قبل أن يتحدث (وائل) تابع الرجل قائلاً:

-بنتعب نفسنا عشان خاطر ناس وف الآخر بيبعونا برخص التراب.

انتفض (وائل) من مجلسه ليكتشف أنه حلم ولم يتحدث معه أحد، مازال الرجل يجلس بجواره ولكن في صمت تام، وليس له داعي بنومه للحظات، تيقن (وائل) أنه كابوس ليس له علاقة بالواقع، فزفر بقوة وأراح ظهره مرة أخرى،عندها تحدث الرجل قائلاً:

-هتسيبك يا وائل وأنت هتعيش حياتك عاجز...

ضرب (وائل) كفاً على الآخر وهو ينظر للرجل قائلاً:

-يعني أنا دلوقتي بحلم ولا دا بجد حضرتك ؟!!

ضحك الرجل وهو ينهض وغادر عربة القطار، بدأ (وائل) يترقب حوله ليتأكد أنه مستيقظ حتى وقعت عيناه على امرأة تجلس في الصف الذي يجاوره، يبدو أنها تابعت حديثه الأخير، تردد في سؤاله لها ثم نهض بسرعة، ووقف أمامها قائلاً:

-حضرتك سمعتي الراجل اللي كان جنبي دا صح؟!!

نظرت له المرأة بدهشة ثم قالت:

-حضرتك تقصد أيه؟!

أشار (وائل) إلى مقعده وهو يقول:

-كان في واحد قاعد جنبي بيتكلم حضرتك سمعيته؟!!

هزت رأسها بالنفي ثم قالت:

-مكنش في حد قاعد جنبك يا أستاذ وائل...

اقترب (وائل) برأسه من رأسها وهو يصرخ:

-يادي المصيبة، انتي كمان عارفة أسمي؟!...

تبسمت هي بحزن ثم قالت:

-اكتب روايتك يا ابني هتعرف كل حاجة، روايتك هتكشف الحقيقة.

عندها ذهبت الإضاءة فلم يرى(وائل) شيئاً إلا شعاع الشمس من النوافذ، فخرج مسرعاً ونظر للقطار من الخارج ليجده قديماً جداً مغطى بالأتربة، والصدأ أكل معظمه.

بدأ ينظر حوله بدهشة يشاهد أشخاصاً مارة من أمامه ولا يعلم أهم حقيقيون أم لا؟!،هو يقرأ كثيراً عن الجان، ولكنه لم يتوقع يوماً أنه سيشاهدهم ويتحدث معهم، من التي سوف تتركه وما علاقة روايته بالحقيقة؟! وأي حقيقة تتحدث عنها تلك المرأة؟!، قاطع أفكاره صوت موظف بالسكة الحديد يتحدث في مكبر صوت ليبلغ المسافرين بأن قطار الإسكندرية على رصيف رقم (3) فذهب إليه (وائل)، وجلس حتى غفلت عينه من شدة الإرهاق.

-يا أستاذ ...يا أستاذ.

استيقظ وائل عندما شعر بأحدهما يوقظه من ركبتيه وكأنه يضربه بلطف مردداً هذا فتابع

-إحنا وصلنا سيدي جابر هتنزل ولا هتكمل لمحطة مصر.

فتح وائل عينيه أكثر ليجده محصل التذاكر (الكمسري) فتبسم بهدوء، ونهض ليخرج من القطار عبر النفق، وخرج من المحطة كعادته كلما أتى إلى الإسكندرية، ولكنه لأول مرة يذهب لمنزل آخر غير منزل خالته، صعد الدرج وقلبه يدق بقوة؛ ليس لمجهود الصعود الذي يبذله، ولكن لقلقه من مقابلته مراد، توقف أمام باب الشقة ليصبح ظهره لمنزل خالته ودق جرس الباب ،استمع لصوت غليظ تغلبه الحدة:

-ايوووة جاي....

عندها قال وائل لنفسه إن كان هو والدها ويتحدث بتلك العصبية قبل أن يراني، فماذا سيفعل معي عندما أتحدث إليه؟!، انفتح الباب ليجد رجلاً ضخماً أمامه له كرش كبير، كقدرة الفول المدمس، نظر له وائل برعب ثم تحدث مراد قائلاً بنفس درجة صوته:

-أي خدمة؟

تنحنح وائل وتراجع قليلاً وهو يقول:

-ممكن أدخل....؟!

صاح مراد في وجهه:

-ما تخلص يا أستاذ عايز أيه هو بنسيون، انطق إنت مين؟!

نظر له وائل بيأس ثم قال:

-أنا اسمي وائل، جاي أتكلم مع حضرتك ف موضوع بخصوص الآنسة رباب...

تأكد مراد حينها أنه الشاب الذي تحدثت عنه رباب، ولأنه مندفع وسريع في قراراته رد قائلاً:

-رباب مخطوبة يا أستاذ، أظن إنت كدا معندكش مواضيع تتكلم فيها؟!

نظر وائل إلى أسفل ليجد الباب ينغلق في وجهه، نظر أمامه بحزن، وبدأ ينزل الدرج ببطء، استمع لصوت تكتكة باب ينفتح فنظر خلفه لعلها تكون رباب أو يكون والدها... قد أحسّ بالذنب تجاه الشاب المسكين، ولكنه باب آخر وهي أسراء التي كانت تستمع لحديثه كاملاً مع مراد، نظر لها وائل والدموع تتساقط من عينيه، ولأول مرة تشاهده إسراء هكذا، اقتربت منه وهي تبكي أيضاً ثم وضعت رأسها على صدره واحتضنته بقوة، وضع وائل يده على رأسها ومسح على شعرها بلطف ثم أبعدها وتركها وذهب دون أن يتحدث...

***

في مساء اليوم

يجلس وائل في غرفته أمام روايته، يشعر أمامها بالملل الرهيب تكاد أنامله أن تقوم بحذفها فهو يمر بظروف عصيبة، ولم يستطيع كتابة حرف واحد، كل ما يدور في رأسه هو ما حدث اليوم... لماذا تحدث والدها هكذا؟! وهل هي مخطوبة كما قال أم هي أكذوبة منه؟!، لم لا؟! ربما كانت نظراتها تدل على ذلك، ولكن إسراء جارتها كيف لا تعلم هذا؟!، ثم حدق عينيه فجأة كأنه تذكر شيئاً بكاء إسراء!! قالها وائل لنفسه: لماذا كانت تبكي هل تعلم شيئاً لم تخبرني به؟!!

أمسك بهاتفه على الفور ...

-آلو...إزيك يا إسراء؟

قالها وائل بجدية...

-تمام إزيك يا وائل أخبارك أيه؟!

لم يجيبها وائل وتابع قائلاً:

-إسراء هي رباب مخطوبة فعلاً؟!

استمعت إسراء إلى سؤاله فحزنت وانخفض صوتها قائلة:

-لا مش مخطوبة يا وائل...

-طب إنتي كنتي بتعيطي ليه؟!!

صمتت إسراء للحظات فتابع هو:

-إنتي فين يا بنتي؟! ما تردي...إنتي بتعيطي تاني؟!!!

انقطع الاتصال بعدها، ولم يفهم وائل بعد مدى حب إسراء له ...

***

بعد يومين...

دق جرس الباب فذهب مراد ليرى من بالخارج، فتح الباب ليجد أمامه رجلاً يبدو أنه في العقد الثالث من عمره يرتدي بدلة بنية اللون ونظارة طبية، ولأن الثراء يبدو عليه، تبسم له مراد قائلاً:

-أهلاً وسهلاً يا باشا...

مد الرجل يده ليصافحه قائلاً:

-إبراهيم أبو العلا معيد في كلية الطب جامعة الإسكندرية.

صافحه مراد بحفاوة وهو يربط على يده بشدة ويقول:

-يا أهلاً بيك يا دكتور أتفضل ...

تقدم إبراهيم ببطء حتى أصبح في منتصف الغرفة الرئيسية للمنزل، ثم نظر لمراد الذي أمسك بقطعة من القماش، وقام بمسح أحد الكراسي وهو يقول:

-أتفضل يا دكتور معلش البيت مش أد المقام...

تنحنح إبراهيم خجلاً وجلس بهدوء وهو يقول:

-لا بالعكس ربنا يعينك عليه...

جلس مراد أمامه متبسماً ينظر بمكر غير ملحوظ، فهو يثق في عقله الذي ربط مهنة هذا الرجل بالجامعة التي تدرس فيها رباب، تحدث إبراهيم ليقطع الصمت الذي لم يتعد الدقيقة...

-أنا جيت أسأل على الدكتورة رباب، ملاحظ غيابها بقالي كام يوم...

تبسم مراد ثم قال:

-هي تعبانة شوية بس دقيقة وأقولها وأجي...

نهض مراد بحماسة، وكأنه ذاهب ليأتي بالمأذون، ودلف غرفة زوجته أولا ونظر إليها قائلاً:

-في دكتور بيدرس لبنتك جاي عايز يقابلها، روحي كلميها عشان لو رفضت تقابله أنا ممكن أموتها، خليها تلبس وتحط ماكياج وتطلع...

نظرت له حنان بدهشة وقبل أن تتحدث إنفعل مراد بصوت منخفض:

-إنتي لسه هتكلميني؟! قومي اعملي اللي بقولك عليه...

نهضت حنان ودلفت غرفة رباب والتي كانت تجلس على الفراش معلنة حزنها، نظرت لأمها بحزن ولم تتحدث...

-رباب في دكتور عندك في الكلية جاي يسأل عليكي، أطلعي قبليه عشان أبوكي مصمم...

تعجبت رباب من حديث أمها، وهي تسأل نفسها من يكون هذا؟! ولم يهتم هكذا؟!، أومأت رباب برأسها، فابتسمت أمها واقتربت منها وقبلتها وذهبت...

بدأ إبراهيم ينظر في ساعته، ومراد ينظر حوله بقلق حتى خرجت حنان، وأبلغته بإشارة من رأسها أن رباب وافقت على مقابلة الضيف، تبسم مراد وهو ينظر لإبراهيم ثم قال بصوت عال:

-منور يا دكتور، دي رباب مصدقتش إنك جاي بنفسك تطمن عليها...

تبسم إبراهيم خجلا وهو يضع سبابته في منتصف النظارة...

بعد لحظات خرجت رباب من غرفتها مرتدية جيبة زرقاء، وبلوزة بيضاء تزيد من جمالها فبشرتها البيضاء، وعيناها الزرقاوان يتوافقان كثيراً مع ملابسها، أما شعرها الأسود الناعم الذي يصل إلى خصرها، جعلها كملكة جمال التي دخلت منزل مراد بالخطأ، نهض إبراهيم من مكانه واقترب منها ليصافحها مبتسماً قائلاً:

-أهلاً أهلاً بالدكتورة ألف سلامة عليكي...

تبسمت له رباب بود ثم نظرت لأبيها ليتحدث هو بسرعة:

-يا رباب مش كنتي تعبتي من زمان عشان نتعرف على الدكتور المحترم دا...

ضحك إبراهيم وجلس ثم جلست رباب أمامه وظلت تنظر أسفلها، لا تعلم هي إن كانت تنظر خجلاً أم حزناً، على كل حال جاء دور مراد لينهض قائلاً:

-هقوم أنا أعملكوا شاي عشان المدام بعافية شوية...

نهض مراد وكأنه يعلن أنه ديوث أمامهم...

أصبح الإثنان ولا داعي لقول الشيطان ثالثهما لأن مراد يؤدي دوره بجدارة...

-إيه يا بنتي اختفيتي ليه كدا؟!!

قالها إبراهيم بجراءة وعيناه تتفحصان جسدها، وكأنه تحول لشخص آخر تماماً

نظرت له رباب بدهشة ثم رفعت حاجبيها قائلة:

-أنا مشوفتش حضرتك قبل كدا أصلاً!!

ضحك إبراهيم وهو يقترب برأسه هامساً...:

-أنا كنت بشوفك ومتابعك من أول يوم دخلتي فيه الكلية، مش هكلمك عن جمالك عشان أكيد بتشوفيه في المرايا، بس هكلمك عن إحساسي بيكي، أنا لما بشوفك ببقى نفسي أشوفك دايماً عارفة دا معناه أيه؟، عايزك تكوني حلالي عشان كدا استغليت فرصة غيابك وجيتلك البيت عشان أكون داخل البيت من بابه، بس عايز أعرف ردك، ومش دلوقتي دا الكارت بتاعي، فكري وردي عليّ...

أنهى إبراهيم حديثه وهو يضع يده في جيبه، ويخرج كارتاً أنيقاً أسود اللون... منقوش باللون الذهبي... أسمه ووظيفته وأرقام

هواتفه، أخذت رباب الكارت فنهض إبراهيم فأتى مراد بأكواب الشاي قائلاً:

-أيه يا دكتور خير؟!!

تبسم له إبراهيم قائلاً:

-هنتقابل تاني يا حاج...

انتهى من قوله ومد يده، وصافح مراد ثم صافح رباب، وتحرك نحو الباب، وخرج وأغلق الباب خلفه.

نظر مراد لابنته بسخط ثم قال:

-تلاقيكي زعلتيه بكلامك السم، مانا عارفك طالعة لأمك...

نظرت له رباب باستنكار ثم دلفت غرفتها وجلست، أشعل مراد سيجارته واقترب بأذنه من الباب المغلق على زوجته حنان... ليتأكد أنها نامت فالدواء الجديد يجعلها تنام لأكثر من اثني عشرة ساعة، تراجع ببطء ثم اتجه لباب الشقة، وفتحه بحرص وهو ينظر خلفه كاللصوص وخرج.

***

في نفس اليوم

الثانية بعد منتصف الليل

استيقظ وائل من نومه وهو يزفر بقوة ويضع يده على رقبته، كأن شخصاً ما كان يحاول قتله خنقاً في كابوس مرعب.

جلس وائل في فراشه وأضاء مصباحاً صغيراً بجواره، ولكنه التفت لشيء غريب في الغرفة، جهاز الكمبيوتر يعمل ويظهر ملف روايته مفتوحاً كأنه كان يكتب، انتفض من مكانه وتحرك نحوه بسرعة

وجلس أمامه، وهو ينظر بدهشة، الملف مفتوح على آخر كلمة كتبها بدأ يفكر هل هو من تركها هكذا؟!! هز رأسه بالنفي هو على يقين أن الجهاز كان مغلقاً، لم يكتف بهذا وخرج من غرفته، ودلف غرفة أمه وجدها نائمة، أغلق الباب مرة أخرى ودلف غرفته وجلس أمام الكمبيوتر حتى عقد حاجبيه، متذكراً الكابوس منذ قليل، كان وائل في حلمه جالساً أمام روايته وشخص ما يحاول منعه من الكتابة، نعم أمسك بيده ووضعها على عنقه، حتى استيقظ، والآن وجد الملف مفتوحاً وكأن شخصاً آخر يطلب منه كتابتها ...!!

أنهى وائل كتابة الفصل الأول سريعاً، كانت الأحداث فيه غير مثيرة للاهتمام، مازال صادق الشخص المثالي في حبه لمنى وهي مازالت تحبه ولا جديد ،بعض الخلافات حدثت بينهما ورفض والدها المتكرر، جعله متمسكاً أكثر بها، كتب وائل الفصل الثاني وهو لديه رغبة شديدة في الكتابة، وكأن الأفكار كلها تأتي عقله الآن بل المشاهد تدور أمام عينيه.!!

***

الثالثة صباحاً

تجلس رباب في غرفتها تتأمل صورة وائل، تنظر لها وتبكي، مشهد يجعلك تشعر أنها تشتاق إليه بصدق، ولكن إذا نظرت أكثر ستجد الكارت الخاص بإبراهيم أبو العلا أمامها وهي تنظر له أيضاً، تفكر ماذا تفعل؟!،هل تنتظر وائل أم تفكر كما يفكر أبوها؟!، دائماً هو يقول: من يملك المال يعطيك السعادة، وهي تقول: من يملك الحب يعطيك السعادة، ولكن لماذا نبحث عن الشخص الذي يعطينا السعادة ونحن لم نبحث في أنفسنا؟!... أي شيء نملكه يجعلنا سعداء.

أعجبتها كثيراً جراءة إبراهيم، فهي مع ملامحه ووقاره تجعله شخصاً نادراً، عكس وائل حيائه يجعله كالأطفال، تتساءل رباب: كم

مرة تمنت فيها قبلة منه وهو لم يفكر في هذا؟، حتى يده تنزف عرقاً بغزارة عندما يمسك بيديها، غير أنه دائماً يتحدث عن الروايات والكتب وإن غازلها؛ تكلم عن منزلهما في المستقبل وكيف سيكون...أمسكت رباب بمنديل ورقي وقامت بتنشيف خديّها من أثر الدموع ثم وضعت صورة وائل في حقيبتها، وهو تعتذر له بصمت.

تأكد أنك إن شاهدت عيوب من تحب، وتمرد قلبك عليها، فأنت لم تعد تحتاج إليه بل تحتاج لشخص آخر، بدأ قلبك يخفق له وبدأ عقلك يثور على من أحببته في الأيام الماضية.

الرابعة صباحاً...

قبل وفاة أبيها إن استيقظت إسراء على صوت الآذان تنام مرة أخرى، ولكن بعد فراقه هي تنهض وتصلي وتدعو له بالرحمة والمغفرة،خرجت من غرفتها، وتوجهت نحو الحمام، ولكنها استمعت لضحكة عالية من أمها داخل غرفتها، توقفت إسراء عن المشي، وبدأ الذهول يحتل ملامحها والفضول يأخذها إلى هناك، تحركت حتى أصبحت أمام الغرفة لتستمع لصوت رجل يمزح بكلمات غير واضحة، يبدو أن الضحكة السابقة كانت لا إرادية، ولكنهما الآن يأخذان حذرهما ويتحدثان بصوت منخفض.

انهارت إسراء في البكاء ودلفت غرفتها، وألقت بنفسها على الفراش، لا تصدق ما استمعت إليه منذ قليل، لقد تخلت أمها عن مبادئها ودينها واستضافت رجلاً غريباً بين ذراعيها، لم يمض عام على موت زوجها، تتساءل إسراء، وعيناها مليئة بالدموع، من هذا الرجل وكيف تعرفت أمها عليه ومتى؟! وإن تذكرت ذلك الصوت مرة أخرى ستعرف أنها استمعت إليه كثيراً من قبل فهو صوت جارهما: مراد أبو كليلة...

***

الثامنة صباحاً

محكمة الإسكندرية

لم يكن الحكم على تاجر سلاح مثل فرج الدمنهوري هيناً، يتجدد حبسه حتى تلك اللحظة، يجلس في قاعة المحكمة الكثيرون، من بينهم صديقه شريف ومحامٍ أتى به ليترافع عنه، يجلس أيضاً سام ولكن لا أحد يراه، أما فرج لم يلتفت لشيء هو فقط ينتظر حكم القاضي، والذي أنهى انتظاره سريعاً وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة أعوام مع الشغل، نظر محاميه إلى أسفل وأخذ أوراقه وذهب، وخلفه تحرك شريف أما سام فابتسم وهو ينهض وغادر معهما، وفرج يصيح قائلاً:

-بنتي، مفيش حد هياخد باله منها...!

يستمع شريف لكلماته، ولكنه يستمر في المشي، هو لا يريد أن يراه من البداية، وحتى إن رآه بالطبع لم يعرفه بعد.

مازال فرج يصيح ويركل القضبان بقدمه، ويضربه بيده لينتبه إليه أحد، أمسكه من الخلف العسكري المكلف بترحيله، فنظر إليه فرج والغضب يشع من عينيه فابتسم إليه قائلاً:

-أتفضل معاية...

زفر فرج عندما تذكر أن هذا الشاب ليس له ذنب فيما يحدث، تحرك معه حتى وصلا أمام عربة الترحيلات الزرقاء، فصعد فرج بثقة، ولكن الحزن مازال على وجهه وانطلقت السيارة.

***

أمسكت رباب بهاتفها بعد أن أعاده إليها أبوها، فوجدت محاولات اتصال كثيرة جداً من وائل غير محادثات الفيس بوك والواتساب،

الغريب أنها لم تنتبه إلى كل هذا، صحيح أنها قرأت الرسائل ولكن بطريقة عشوائية فطالما المضمون واحد لا داعي لقراءة تلك التفاهات، هكذا هي تعلمت، ثم أمسكت بالكارت الخاص بإبراهيم وهي تتبسم، وتكتب الرقم بحماسة، ثم ضغطت على زر الاتصال ووضعت الهاتف على أذنها...

-كنت مستني تليفونك.

قالها إبراهيم وهو يمزح، فضحكت رباب قائلة:

-أيه الثقة دي!!

-فعلاً أنا بثق في إحساسي جداً.

تنحنحت رباب ولم تتحدث فتابع هو...

-هشوفك انهارده في الكلية لازم...

مازالت رباب محتفظة بابتسامتها ثم قالت:

-أنا مكنتش ناوي أروح بس هقوم ألبس حالاً...

أنهت رباب المكالمة، ونهضت متجهة نحو الدولاب، بدأت تقلب في ملابسها وهي حائرة مثل أي شخص يقابل من يحب لأول مرة، يصفف شعره ويضع العطر ويرتدي أحب الملابس إلى قلبه، ويذهب فرحاً... وهو لا يعلم أن كل هذا سيتحول في يوم إلى ذكريات تجاربه أينما كان، فاليوم الأول يجب أن نتعامل معه بحرص... نرتدي ملابس ثم نحرقها، ونضع عطر لن نستخدمه مرة أخرى، نذهب إلى مكان ليس لدينا به ما يجعلنا نعود إليه ثانية.

أصبحت رباب جاهزة للنزول ولكن ينقصها فقط النظر للمرآة لساعات طويلة تتأمل فيها ملامحها وجسدها، للتأكد أنها ستسحر إبراهيم وليس هو فقط بل كل من يشاهدها.

انفتح باب العنبر وأحدهما دفع فرج إلى الداخل وأغلق الباب، نظر فرج حوله ليرى أسرة بيضاء ينام عليها السجناء، وكل فراش يعلوه فراش فوقه، مشهد لم يدهشه، ولكنه يكره تلك الرائحة التي تشبه رائحة دورات المياه العامة، تقدم ببطء حتى أصبح في منتصف العنبر فاستمع لرجل يسعل وهو ينهض من الفراش، فنظر إليه فرج ليجد جميع السجناء يتركون أماكنهم ويقفون على الأرض بشكل منتظم عكس الرجل الذي وقف خلفه وهو يقول:

-تعالي يا ابن السهلة بوس رجلي...

استدار إليه فرج وهو ينظر له بغضب واقترب منه دون أن يتحدث...

هذا الرجل لا يعلم أن فرج يتحول لوحش مفترس عندما يسب أحد أمه تحديداً، لذلك أمسك فرج برأس الرجل وضربها برأسه ضربة قوية، ثم ركله في منتصف قدمه ليقع على الأرض، فوضع فرج قدمه على رأسه بعد أن أصبح في حالة إغماء فضغط أكثر على رأسه، حتى استيقظ فصاح فرج بصوته الغليظ:

-أنا فرج الدمنهوري والعنبر دا من دلوقتي بيتي، وانتوا ضيوفي أما الكلب دا، خدااام عندي.

***

لم تغفل عين إسراء لدقيقة واحدة كل هذا الوقت، ولم تجف عيناها أيضاً، هي نائمة واضعة وسادتها على رأسها وتبكي في صمت، استمعت إلى خطوات في الغرفة فنظرت لتجد أمها تتبسم لها قائلة:

-اصحي يا حبيبتي عشان الكلية ...

لم تتحدث إسراء وعادت كما كانت، ومازالت أمها تفسر كل هذا مجرد تكاسل، فاقتربت منها وأمسكت بالغطاء وأزاحته من عليها، نظرت إليها إسراء بغضب وهي تقول منفعلة:

-سبيني ف حالي بقى...

حدقت إليها أمها وبدأت تشعر بأمر غريب؛ فهي المرة الأولى منذ ثمانية عشر عاماً ترى إسراء هكذا، جلست عفاف على حافة الفراش، وهي تضع يدها على ظهر إسراء ثم قالت:

-مالك يا حبيبتي؟!!

نظرت إسراء إليها مرة أخرى بغضب، ثم اعتدلت وبدأت الدموع تتساقط أكثر من عينيها، وهي تقول:

-هو مين دا؟، ليه كدا يا ماما!

عقدت عفاف حاجبيها ثم قالت:

-تقصدي أيه ؟!!

تبسمت إسراء ساخرة وهي تقول بصوت منخفض:

-الراجل اللي كان معاكي في الأوضة يا ست الكل يا محترمة...

بمجرد ما انتهت إسراء من قولها هذا، صفعتها أمها على وجهها بقوة، فانهارت إسراء في البكاء ثم احتضنتها عفاف بشدة وهي تبكي قائلة:

-أنا آسفة يا حبيبتي أنا ومراد أتجوزنا على سنة الله ورسوله...

سحبت إسراء رأسها من بين ذراعي أمها وهي تنظر بدهشة ...

-مراد مين؟!!! أبو رباب.

أومأت عفاف برأسها وهي تنظر إلى أسفل، ضحكت إسراء بشدة وهي تنهض ثم تركت غرفتها ودلفت غرفة أمها ووقفت أمام الفراش، وهي تنادي عليها بصوت عال، أتت أمها مسرعة لتجد إسراء تشير إلى الفراش قائلة بحدة:

-سرير أبويا اللي كان بينام عليه أشرف راجل في الدنيا، بقى بينام عليه راجل خمورجي نجس.

ثم صاحت في وجهها وهي تبكي قائلة:

-ازاااااي؟!!!

***

تتحرك رباب بخطوات صارمة داخل الكلية، ثم أمسكت هاتفها وطلبت إبراهيم وأبلغته بوصولها فأبلغها هو بأنه في مكتبه الآن، استمرت رباب بالمشي حتى وجدت أمامها صديقتها خلود ابتسمت لها وصافحتها واحتضنتها وتركتها سريعاً حتى لا تتأخر على من ينتظرها.

صعدت السلم واتخذت الممر كما وصف لها إبراهيم، تركت أول غرفة على يسارها ثم طرقت باب ثاني غرفة، ليأذن لها بالدخول، دخلت هي وأغلقت الباب خلفها لينهض إبراهيم قائلاً:

-أهلاً أهلاً أتفضلي يا دكتورة ...

تبسمت رباب في حياء ثم جلست أمامه فتحرك هو، وترك الكرسي الذي يتوسط المكتب وجلس على كرسي آخر قريب منها ليصبح أمامها أكثر، نظر إليها متبسماً ثم قال:

-سامحيني على الحركة دي بس دا ندر عليا ولازم أوفيه.

ثم أمسك يدها وقبلها بلطف، سحبت رباب يدها بخجل، ثم نظرت إليه بابتسامة واسعة وهي تقول:

-هي حركة حلوة بس متعملهاش تاني.

ضحك إبراهيم قائلاً:

-يعني موافقة؟!!

اعتدلت ملامح رباب ثم قالت:

-على أيه؟

-إني أخطبك ...

بدأ قلبها يخفق وهي تنظر له بسعادة متأملة ملامحه الجذابة ثم هزت رأسها بالموافقة...

لم يكذب إبراهيم الخبر، أخذها من يدها وهي تضحك وتشبه بالمجنون وركض وهو يسحبها خلفه وخرجا من الكلية حتى وصل أمام سيارت،ه فتوقف وفتح لها الباب وهو يسمح لها بالدخول بطريقة معظمة فدلفت السيارة وجلس بجاورها ليقود.

لأول مرة تشعر رباب بأن أحلامها بدأت تتحقق فهي منذ الطفولة تتمنى الزواج برجل لديه سيارة، وبعد أن شاهدت جنون إبراهيم اكتمل في عينيها فهو كما تمنت هي، توقف إبراهيم في طريق هادئ وأدخل يده في جيبه ليخرج بعلبة حمراء، فقام بفتحها وأخرج خاتماً من الألماظ الحر، وأمسك بيد رباب ووضع الخاتم في إصبعها بلطف ثم قبلها وهو يقول:

-اقري الفاتحة يلا...

كانت رباب قبل تلك الكلمات مبتسمة بشدة ولكنها اعتدلت بملامحها قائلة:

-أيه دا طب مش المفروض في البيت وتجيب أهلك وكدا...

تبسم إبراهيم ليرد بسرعة.

-حبيبتي إحنا محتاجين نعرف بعض أكتر، يا ريت نخلي الموضوع بنا ع الأقل لفترة قليلة.

تعجبت رباب من قوله وعقدت حاجبيها وهي تتأمل الخاتم وتقول:

-بس دا خاتم شكله غالي أوي؟؟!

-مفيش حاجة تغلى عليكي يا حبيبتي.

قالها إبراهيم وهو يقترب برأسه منها ليقبلها وهي لم تمنعه.

***

(المنزل المهجور)

تسير إحدى سيارات الأجرة ببطء شديد من شدة ازدحام الطريق، وفي الخلف يجلس رجل في العقد الخامس من عمره ينظر من النافذة مبتسماً...

رغم الزحام والهواء الساخن والكلمات التي ينطقها السائق موجهاً بعض العبارات لسائقي السيارات الملاكي ويزفر في الدقيقة مرتين قائلاً:

-كل واحد معاه كام باكو يجيب لابنه عربية ويقرف إللي جابونا...

رغم كل هذا يبتسم الرجل الجالس في الخلف، متأملاً مباني الإسكندرية بشارع أبو قير وكأنه لأول مرة يزور تلك المدينة...

كان متمسكاً بابتسامته لدرجة الانتباه مما جعل السائق ينظر له في المرآة قائلاً:

-هو سيادتك مبسوط كدة ليه!!

نظر له الرجل بنفس الابتسامة الهادئة ولم يتحدث.

-على جنب هنا لو سمحت...

كانت تلك العبارة تعتبر الحديث الأول للرجل منذ لحظة ركوبه...

توقفت السيارة، ونهض الرجل ببطء، وهو يترك السيارة ويغلق بابها..

ثم توجه إلى النافذة الأمامية وأخرج من جيبه خمسين جنيها ليعطيها للسائق.

نظر له السائق باستنكار وهو يقول:

-أيه يا عم خمسين جني، أيه دا أنا جايبك من برج العرب لسيدي جابر، دا سفر يابا...

ظل الرجل مبتسماً، وهو يضع يده مرة أخرى في جيبه، وأخرجها بمئة جنيه فأخذها السائق بغضب وانطلق...

تحرك الرجل بخطوات صارمة وهو يترقب المباني العالية والمحلات الضخمة...

حتى اصطدم كتفه بشاب كان يمر في الاتجاه المعاكس له...

أعتذر الرجل بينما الشاب نظر له وهو يهز رأسه كأنه يعرفه جيداً ويقبل اعتذاره.

اتخذ الرجل أحد الشوارع الجانبية حتى توقف أمام منزل قديم؛ مكون من أربع طوابق، بدأ يتفحصه بعينه من أعلى إلى أسفل وتزداد ابتسامته مع كل طابق...

كان يتابعه رجل عجوز جالس على أريكة قديمة مثبته بصندوق بلاستيكي من أسفل، ويخرج منها بعض القش، نهض العجوز واقترب من الرجل الذي مازال يتفحص المنزل...

حتى أصبح أمامه وهو يقول:

-أي خدمة يا باشا؟!!

التفت الرجل إليه واعتدل فمه إلى ابتسامة هادئة ثم قال:

-مين ساكن في البيت دا؟!

ضحك العجوز ساخراً حتى ظهرت أسنانه المتآكلة السوداء وقال:

-البيت دا ساكنه اللهم أحفظنا، إنما أنت بتسأل ليه؟!

نظر الرجل مرة أخرى إلى المنزل وهو يقول:

-عايز أسكن فيه ...

نظر له العجوز مندهشاً بقوله حتى قال:

-تسكن فيه دا أيه يا بيه بقولك مسكون...

قالها وهو يمسك بشاربه ليفكر فتابع:

-تدفع كام.

-وضع الرجل يده في جيبه وأخرج ألف جنيه وأعطاها للعجوز قائلاً:

-هو يوم واحد ومش هتشوفني هنا تاني...

نظر العجوز للنقود بطمع وقال:

-بس دا مفهوش عفش إنت عايزه ليه!!

-لأ ليه بقى دي حاجة متخصكش يا حاج.

أخرج العجوز من جيبه مجموعة مفاتيح، وتحرك نحو باب المنزل الكبير وهو ينظر يميناً ويساراً كأنه يسرق...

دلف المنزل والرجل خلفه ثم أغلق الباب وبدأ يصعد السلم، الذي تملؤه الشقوق، حتى وصل إلى الطابق الأول...

قام بفتح الباب وبمجرد دخولهم انغلق الباب خلفهم بقوة، استدار العجوز بفزع أما الرجل لم ينظر خلفه وكأنه يعلم ما يحدث...

-هو مين اللي قفل الباب!!

قالها العجوز بتعجب، فهز الرجل رأسه كأنه لا يعلم...

ضغط العجوز على زر في منتصف الحائط، لينير المصباح فلم يحدث جديد ربما يكون تالفاً.

-خد يا ابني الشمعة دي أولعهالك...

قالها العجوز وهو يعطي للرجل شمعة صغيرة ،وقام بإشعالها وهو يتابع:

-أنا هسيبك دلوقتي ولو عوزت حاجة أنا اسمي محروس بواب في العمارة اللي جنبك دي...

آه أوعى حد يعرف إنك ساكن هنا، شوف هتخرج أمتى وخلي بالك لحد يشوفك وإنت خارج.

كان يتحدث بتعجل والرجل ينظر له بهدوء، انصرف العجوز وأغلق الباب خلفه...

والرجل يتتبع صوت حذائه الذي يبتعد تدريجياً حتى اطمئن أنه خرج من المنزل بأكمله

أمسك الرجل بالشمعة، ووضعها في منتصف الغرفة حتى ظهرت له سحابة صغيرة بدأت تلتف حوله...

ثم هبطت وتشكلت ليرى سام أمامه...

اقترب سام من الشمعة، ونظر لها حتى احترقت بأكملها، وأصدر من جسده هالة بيضاء أنارت الغرفة ...

تحرك سام وخلفه تحرك الرجل ودلفا إحدى الغرف، توقف سام في منتصف الغرفة وهو ينظر للأرض...

فانشقت من أسفلهم وظهر سلم من الذهب اللامع اتخذه سام، وخلفه هبط الرجل حتى وصلا أمام بوابة كبيره ذهبية اللون...

نظر سام للبوابة حتى فتحت لهما، دخلا الاثنان وانغلقت البوابة...

بمجرد دخولهم، نظر الرجل حوله ليرى نفسه في قصر كبير...

جميع أثاثه من الذهب الخالص، مكون من غرفة واسعة تبلغ مساحتها حوالي 200متر مربع يتوسطها عمود ضخم يلتف حوله سلم يؤدي إلى الطابق الأعلى...

توجد أريكة ضخمة، وأمامها طاولة صغيرة عليها تمثال صغير...

واضعاً يده اليمنى على قلبه والأخرى يشير بها إلى الحائط...

هو لا يشير إلى الحائط نفسه بل هو يشير إلى البرواز الكبير المعلق عليها، يحتوي على صورة قديمة لرجل يرتدي بدلة سوداء وبجواره شاب يشبهه في الملامح ...

هذا هو قصر سام والذي يحتوي على غرفة العمليات، وهي غرفة سرية للغاية لا يعلم بها أحد، ولا أحد يستطيع الوصول إليها مهما كانت قوته؛ فهي تحت حراسة مشددة من قبل سامية...

جلس الرجل على أحد الكراسي الضخمة التي تحتل أركان الغرفة ...

واقترب منه سام ونظر له ليبلغه؛ بأنه من الآن تحت حمايته، وأعدائه هم أعدائه أيضاً ولكن الطريقة التي يريد الرجل الانتقام بها تحتاج لكثير من الوقت .

تحرك سام وخلفه تحرك الرجل ليصبحوا أمام باب غرفة صغير، دلفها سام وخلفه الرجل مازال ينظر بتمعن وبحرص،حتى أصبحوا أمام صندوق كبير، اقترب الرجل وأمسك باليد المعدنية التي تتوسطه، فأشتم رائحة كريهة، فترك الصندوق وتراجع للخلف وهو يضع يده على أنفه قائلاً:

-يا ساتر يا رب.

اقترب الرجل مرة أخرى متحملاً كل هذا ليشاهد ما في الصندوق...

رغم أن الرجل كاد أن يغشى عليه من الرائحة إلا أنه قام بفتحه...

ليجد داخل الصندوق كيساً قماشياً أبيض مربوط الأطراف...

ربما هي جثة لشخص ما، وتحللت ولم يبق منها شيء، ولكنها العلامة الأولى ودفنها هو العقد بينه وبين سام...

***

استطاع إبراهيم أن يجعل رباب تثق فيه ثقة عمياء دون أي مجهود؛ فهي طالما أحبته أطمئنت له لذلك هي الآن في منزله جالسة بجواره، تتحدث ويستمع إليها ويتحدث وتستمع إليه، نهضت رباب بخجل وهي تقول:

-هو فين الحمام إللي هنا؟

ضحك إبراهيم قائلاً:

-في آخر الطرقة على اليمين ...

ذهبت رباب ودلفت الحمام وظلت تنظر لوجهها أمام المرآة قليلاً، نظرت لمساحيق التجميل التي أفسدها إبراهيم بشفتيه ثم تذكرت أن حقيبتها بالخارج،عادت لتأخذها ولكنها وجدت ملامح إبراهيم متغيرة تماماً يبدو عليه الغضب الشديد، نظرت له بدهشة وهي تقول:

-مالك يا حبيبي !!

نهض ابراهيم وهو ممسك بصورة وائل في يده ووضعها أمام عينيها قائلاً:

-مين دا!!

سعلت رباب من سؤاله فهي لم تكن مستعدة لإجابة مناسبة الآن ولكنها ردت قائلة:

-دا واحد كان بيحبني.

تبسم إبراهيم ساخراً وعاد لمقعده وهو يقول:

-الله أيه الحلاوة دي؟!

ثم صاح في وجهها وهو يتابع:

-وصورته بتعمل أيه في شنطتك؟!!

نظرت رباب إلى أسفل ولم تتحدث، أكمل إبراهيم حديثه قائلاً:

-هقول إنك نسيتها وهعديها عشان أول مرة ...

تلك العبارة الشهيرة لا يقولها إلا مغفل، طالما اكتشفنا شيئاً فهو إنذار من الدنيا لتبلغنا، بأنها ليست المرة الأولى، فالمرة الأولى لا أحد يستطيع اكتشافها أبداً.

نهض إبراهيم وتحرك نحو الباب، ورباب تمشي ببطء خلفه حتى خرجا وذهبا إلى الكلية.

لم ييأس وائل بعد، فمن سوء حظه أنه ينتظر الآن أمام الكلية، لعله يراها وهي ليست أول مرة يقف فيها وائل بالساعات أمام كلية رباب، ولكنها المرة الأولى التي يشاهد فيها رباب تخرج من الكلية ويدها ممسكة بيد شاب آخر، نظر وائل لهما محاولاً إقناع نفسه بأنه كابوس، اقترب منها حتى شاهدته ونظرت له بحزن، ولم تتحدث، أشار وائل نحو إبراهيم قائلاً والحزن على وجهه:

-مين دا يا رباب؟!!

نظرت رباب إلى أسفل فتحدثت قائلة:

-دا خطيبي!!

قالتها ثم دلفت السيارة بسرعة ودلف إبراهيم بجوارها وانطلقت السيارة.

حينها لم ير وائل أمامه غير الظلام رغم شمس الظهيرة، شعر بألم في قدميه وكأنه سيسقط الآن تحرك ببطء فهو مازال يستمع لعبارتها الأخيرة، لذلك لم ينتبه لصوت السيارات فإذا بسيارة تسير بسرعة هائلة، وتدفعه في الهواء فسقط على الأرض ودماؤه حوله...

***

الضيف الأول...

لم تعد إسراء تتحمل وجود مراد بينهما، فبعد أن كشفت أمرهما ظل معهما يومياً يأكل وينام، فهو لم يتزوج عفاف لشيء سوى حصوله على راتبها كل أول شهر، أما عفاف تزوجته ليكون سنداً لها ولابنتها، وإن فكرت قليلاً ستعرف... أنها أخطأت فهو لم يكن سنداً لزوجته التي تزوجها بعد معاناة... ولم يكن سنداً لابنته التي من دمه،

لذلك هو يتعامل معهم الآن بوضوح فتركت إسراء المنزل، إلى أين ذاهبة لا تعرف كل ما تعرفه هي أن مراد بدلاً من والدها كارثة...

تمشي إسراء ليلاً في طريق مظلم تبكي، وتدعو الله أن يخلصها من تلك الحياة البائسة فهي تود لقاء أبيها بأي شكل، استمعت لخطوات خلفها وشاب يتمتم بكلمات غير واضحة، ازدادت خطواتها وازدادت الخطوات خلفها أيضاً حتى اقترب منها وهو يقول:

-الجميل بيعيط ليه؟!

لم تنظر له إسراء وظلت تمشي بخطوات سريعة تحدث الشاب مرة أخرى قائلاً:

-تعالي معا...

انقطعت كلماته، وهو يصرخ وفرّ هارباً، استدارت إسراء فوجدته يجري بعيداً، تعجبت لأمره وعندما توجهت حيث كانت وجدت أمامها شاباً آخر يرتدي بدله سوداء وسيماً جداً، بالطبع هو سام، تراجعت إسراء ولكنه ظل ينظر لها حتى يسيطر عليها فتثق به، بالفعل نجح في ثواني معدودة، فهي الآن أصبحت ملكاً له ابتسمت ابتسامة واسعة، فابتسم هو وتحرك بخطوات صارمة فتحركت خلفه، وإن فارقها بمسافة توقف حتى تقترب ويمشي مرة أخرى... يتخذ طريقاً فتذهب معه، يدلف إلى منزل فتدلف خلفه، حتى وجدت نفسها في شقة ليس بها أي أساس، لم تبالي فهي تحت تأثير عينيه تطمئن له كأنه أبوها، انشقت الأرض وظهر أمامها السلم الذهبي فنزلت خلف سام حتى وصلا أمام بوابة القصر، نظر لها سام ففتحت لهما ودخلا معاً، وأغلقت البوابة ثانية.

وجدت إسراء أمامها الأثاث اللامع والعريق للقصر من الداخل، فله سحر آخر، ومن الخارج ليس له معالم فهو في بطن الأرض، تحركت

إسراء ببطء فعادت لطبيعتها؛ لأن سام قد اختفى من المكان بدأت تنظر بدهشة؛ لتجد رجلاً جالساً يضع قدماً على الأخرى فنظرت له برعب وقالت:

-أنا فين؟!!

نهض الرجل واقترب منها وهي تتراجع ثم توقف وقال بصوته الهادئ:

-إنتي في أمان يا إسراء متخافيش...

بدأت الدموع تتساقط من عينيها، وهي تضع يدها على فمها وتبكي بشدة فتابع الرجل:

-هتفهمي كل حاجة، أنا جبتك هنا عشان أحميكي صدقيني...

***

المقبرة

عاد إسماعيل من عمله مرهقاً جداً تلك الليلة، صحيح أن العمل في الحفر يرهقه كل ليلة، ولكن وجهه اليوم يبدو عليه الإرهاق الشديد، جلس على الأريكة وهو يتوجع...فأتت زوجته مسرعة وجلست على ركبتيها أمامه وخلعت له نعليه بلطف ثم وضعت يدها على ركبتيه مبتسمة لتخفف عنه الألم، ابتسم لها إسماعيل وهو يومئ برأسه ثم وضع يده على رأسها وقبلها، فنهضت وهي تقول:

-هحضرلك الغدا يا أبو يوسف...

نظر لها إسماعيل بحزن وهو يقول:

-غدا ...لا يا كريمة كلي إنتي أنا هدخل أنام شوية...

نهض إسماعيل ودلف إلى غرفته، وأراح ظهره على الفراش، وهو يحمد الله على كريمة فهي زوجة يتمناها ألف رجل بحق، كان بإمكانها

الزواج برجل غني... فهي جميلة مثقفة، ومن عائلة كبيرة، ولكنها تزوجت بإسماعيل، وقالت: الحب يكفي. وهربت معه من المنصورة إلى الإسكندرية، قدم أهلها بلاغاً في إسماعيل باختطافها، وهو بالفعل مطلوب لدى الشرطة، ولكن لا أحد يعرف طريقه؛ فهو يعمل مع مقاول يحفر ويكسر ويضع على كتفه الاسمنت والرمل ليأتي ببعض المال، صحيح أنه لم يكف لشراء منزل، ولكن إسماعيل...وجد بمنطقة سيدي جابر بالإسكندرية منزلاً قديماً مكوناً من أربع طوابق، كان نصيبه منه غرفة في الطابق الأرضي مقابل خمسمائة جنيه، ويدخل ويخرج وهو يترقب فلا أحد يعرف أنه مقيم في تلك الغرفة إلا حارس العقار، ورغم خوفه لرفض كريمة لهذا المكان الضيق إلا أنه وجد رد فعل غريب، وفرحة صادقة في عينيها، ورغم البئر الذي وجدوه في منتصف الغرفة مما جعلها مخيفة إلا أنهما ضحكا، قائلين: فهي بشرة والبئر ذكر في سورة يوسف بالخير...يتذكر إسماعيل كل هذا وهو نائم على ظهره مبتسماً ابتسامة واسعة، ولكنه نهض فجأة عندما تذكر البئر، أزاح البساط من على الأرض ليرى الغطاء الخشبي فأزاحه عن البئر ليرى على بعد حوالي متر بعض الأتربة على أرض صخرية، بدأ يتأملها لدقائق وهو يفكر في أمر ما، حتى دلفت كريمة الغرفة وظلت تنظر له باندهاش، حتى لمحها فنظر لها مبتسماً وقال:

-فاكرة لما قولنا إن البير دا بشرة خير؟!

ضحكت كريمة وهي تقول:

-فعلاً...بس إنت بتبصله كدا ليه...؟!

تبسم إسماعيل وهو ينظر للبئر مرة أخرى ثم قال:

-فاكرة لما قولنا أول عيل هنسميه يوسف، وإنتي من ساعتها بتقوليلي يا أبو يوسف؟!

ضحكت كريمة مرة أخرى وهي تقول:

-إنت بتفكر في أيه مش فاهمة؟!

وضع إسماعيل الغطاء كما كان، وساعدته كريمة في فرش الأرض كما كانت ثم نظر إليها وهو يقول:

-هفهمك بعدين أنا هدخل أخد دش وأطلع عشان نعمل محاولة ونجيب يوسف بيه للدنيا...

***

استيقظ وائل من نومه بفزع وهو يستعيذ ويمسك رأسه ويصرخ، أتت أمه على صراخه وجلست بجواره وهي تحتضنه، وتسأله ماذا حدث؟، لم يتحدث وائل وظل يشهق ويزف بقوة وكأنه كان يجري لساعات طويلة، نهضت أمه وأحضرت له كوب من الماء فشربه حتى هدأ ونظر إلى أمه قائلاً:

-كابوس فظيع...

قالها وائل بحزن فسألته أمه: ماذا شاهد في نومه... فحكى لها أنه كان في غرفة مظلمة لم ير فيها شيئاً غير رجل يقترب منه ويضربه على رأسه قائلاً:

-بتسيب حقك إزاي دي رباب سبب عجزك؟!

انتهي وائل من حكايته وهو يطيح بيده قائلاً

-ماتغور بقى هي عايزة مني أيه...

نظرت أمه إلى أسفل وهي تقول:

-انساها يا وائل عشان خاطري...

ضحك وائل ساخراً وهو يقول:

-آه حاضر هنساها وهغمض عيني وأقول نسيتها ...

ثم نظر إلى أمه والدموع تتساقط من عينيه وهو يتابع...:

-شايفها قدامي طول الوقت يا ماما صوتها مبيفارقنيش من يوم الحادثة.

الحادث لم يقتل وائل ولكن أصابه بشلل في قدميه، يقول الطبيب المتابع لحالته إن عجزه هذا نتيجة لصدمة عصبية والحادث ليس له تأثير...

نهضت هدى وهي تفكر... ماذا تفعل لتخفف عن ابنها؟! فاستمعت له يقول من الخلف:

-ماما أنا عايز أعزل من البيت دا.

التفتت إليه بدهشة ولم تتحدث فتابع هو:

-أنا هكلم واحد صاحبي يشوفلنا شقة تانية.

عندها تحدثت أمه قائلة:

هنروح فين بس يا ابني؟!

-إسكندرية...

....

لليوم الثاني علي التوالي تطلب رباب من هاتفها إبراهيم فتستمع لرسالة مسجلة تقول، الرقم الذي طلبته غير موجود بالخدمة...صحيح أنه أبلغها بسفره للمنصورة لسبب غريب وهو ظهور جثة أخته التي هربت مع عشيقها منذ سنوات، ولكن الهاتف ليس له صلة بالأمر، فهي تريد أن تطمئن عليه، ظلت رباب تحاول عدة محاولات فاشلة، وهي تزفر من الغضب حتى استمعت لأحد ما يطرق

باب غرفتها، فسمحت بالدخول لتجد أمها أمامها مبتسمة، رفعت رباب حاجبيها من الدهشة فهي منذ سنوات طويلة لم تر الابتسامة علي وجهها لسبب غير معلوم، حتى والدها تستمع إليه دائماً ينادي أمها ب: (حنان الكشرية). اقتربت أمها بخطوات بطيئة حتى جلست بجوارها وهي تنظر ليدها التي بها الهاتف، وتزداد ابتسامتها، تعجبت رباب وهي تعقد حاجبيها وسألتها عن السبب... فلم تستمع لأي ردود، زفرت رباب وهي تقول:

-ماما بالله عليكي متقلقنيش مالك..!!

عندها تحدثت حنان قائلة:

-صحيت من النوم مبسوطة مالك يا حبيبتي شكلك زعلانة؟!

نظرت رباب إلى أسفل ثم بدأت تبكي، وهي تضع يدها على فمها ثم قالت:

-هحكيلك عشان بجد مخنوقة أوي...

بدأت رباب تروي لأمها حكايتها بإبراهيم وكيف حدث بينهما مع حذف التفاصيل المنزلية حفاظاً على غضب أمها .

الغريب في الأمر هو ابتسامة حنان التي لم تفارقها طوال حديث ابنتها والأغرب هو ردها المختصر لتقول وهي تنهض:

-دوري عليه ...

غادرت أمها الغرفة فنهضت رباب وفتحت الدولاب، ولأول مرة ترتدي ملابسها بسرعة ولم تفكر في اختيار الألوان المناسبة، انتهت ولم تنظر للمرآة، وخرجت من الغرفة، وفتحت باب الشقة لتستمع لأمها من الغرفة: تسأل من بالخارج...تحدثت رباب بصوت عال وهي تقول:

-رايحة أعمل بنصيحتك.

قالتها وأغلقت الباب خلفها، فنهضت حنان من الفراش وهي تتوجع من المرض، وتسأل نفسها: أي نصيحة تتحدث عنها ابنتها.

***

شعور عفاف بالذنب تجاه إسراء، أصابها بأزمة نفسية حادة جعلها تصرخ في وجه مراد كلما شاهدته، وتدعو الله أن يأخذه فيقوم بضربها، تكرر هذا الموقف عدة مرات لتصبح عفاف وكأنها فقدت عقلها بالكامل تمشي في شوارع المدينة، تتحدث مع الناس وهي تبكي تسألهم عن ابنتها وهي ممسكة بصورة صغيرة لها، ينظر لها الجميع بشفقة ولا أحد يجيب فمنهم من يهتم لأمرها فيهز رأسه بالنفي، ظلت لساعات طويلة تتجول وتهرول وتبكي بشدة حتى تشعر بالتعب فتجلس على أحد الأرصفة كالمتسولين، كان المشهد يستحق تدخل سام حقاً،ب الفعل أرسل لها سامية في صورة فتاة ترتدي عباءة سوداء، مرت من أمامها، وتوقفت وهي تنظر لها بعطف فانتبهت لها عفاف ونظرت لها مبتسمة بحزن، وفتحت يدها لتريها صورة إسراء فأومأت سامية مبتسمة ومدت لها يدها، فأمسكت بها عفاف، ونهضت، تحركت سامية بخطوات بطيئة تتناسب مع إرهاق عفاف الشديد، ولكن ملامحها أصبحت أكثر جدية وهي تنظر أمامها أما عفاف فظلت تنظر لها متبسمة ابتسامة أمل واضحة، لم يستغرق الطريق وقتاً طويلاً حتى وصلا أمام منزل قديم فدلفت إليه سامية وخلفها عفاف وبدأتا بالصعود، ولكن فجأة توقفت عفاف وهي عاقدة حاجبيها وتشير لباب غرفة في الطابق الأرضي وتقول:

-دا بيتنا القديم ...بابا كان بيحرس البيت دا.

تبسمت سامية وهي تقول

-الله يرحمه عم خليل ...يلا نطلع إسراء مستنيانا.

استجابت عفاف لمطلب سامية ليس لشيء، فهي تحت تأثير عينيها لقد تعلمت هذا من قائدها سام...

صعدتا إلى الطابق الأول ليجدوا السلم الذهبي مجهز لهما للنزول، اتخذته سامية وخلفها عفاف حتى وصلتا أمام البوابة، وهي أيضاً مفتوحة لهما دخلت عفاف حتى أصبحت بالقصر الكبير ونظرت خلفها والبوابات تنغلق برفق، فاستمعت لصوت ابنتها وهي تركض نحوها وتحتضنها وتبكي بشدة، لحظة عناق طالت لأكثر من عشر دقائق، اختفت سامية من المكان ولم يتبق غير الرجل الجالس الذي ينظر لهم مبتسماً ويهز رأسه، نظرت عفاف حولها بدهشة وخوف شديد وهي تسأل ابنتها: أين هما الآن؟! حتى لمحت الرجل الجالس بعيداً... فنظرت له بحرج وهمست في أذن إسراء لتسألها ثانية من يكون هذا؟، فابتسمت إسراء وهي تأخذها بيدها وتذهب نحوه حتى أصبحتا أمامه ثم قالت:

-أعرفك ياعمو دي مامتي عفاف.

ثم نظرت لأمها وهي تقول: أعرفك يا مامتي دا عمو اللي مش بيقول لحد أسمه...

ضحك الرجل وهو ينهض ويصافح عفاف، فابتسمت له ثم بدأت تعتدل ملامحها حتى عقدت حاجبيها وهي تقول:

-أنا حاسة إني شفت حضرتك قبل كدا؟!

تبسم الرجل وهو يقول: ...لا أبداً مفتكرش.

قطع حديثهم صوت خطوات سام الذي بدأ بالنزول متوجهاً نحوهما، نظر إليه الجميع برهبة ومن يعرفه يضيف ابتسامة على

شفتيه، أما عفاف ظلت تنظر له بخوف وتنظر لعينيه وهي تتغير من لون إلى آخر في كل ثانية، وهي تقول بصوت منخفض:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...

ابتسم سام بود ونظر لها لتجد أنه يبلغها أن لا تقلق، استمعت لصوته بداخلها فابتسمت بطريقة لا إرادية وبعد أن كانت تريد العودة هي وابنتها إلى منزلها، أرادت الآن البقاء في ذلك القصر، لقد أبلغها سام أيضا أن وجودهما في قصره أهون بكثير من الجلوس أمام مراد نهاراً والنوم بجانبه ليلاً، ثم نظر لسامية وأبلغها بمهمة سريعة لم يعرفها غيره ...

...

تمشي رباب بخطوات صارمة داخل كليتها لا تنظر لأحد، ولا تهتم لمن يحيها أو يبتسم لها حتى قابلت صديقتها خلود فابتسمت لها، وكادت أن تستمر في المشي إلا أن خلود أوقفتها بحدة وهي تقول:

-مالك يا بنتي أنا شايفاكي ماشية زي المجنونة أيه اللي حصل..؟

نظرت رباب إلى أسفل وهي تفكر قليلاً ثم قالت:

-طالبة منك خدمة تقدري تساعديني..؟

تبسمت خلود بدهشة وهي تقول:

-اتكلمي في أيه متقلقنيش...؟!

-في معيد اسمه إبراهيم أبو العلا عايزة أوصل لعنوانه هو أكيد حد يعرفه.

أومأت خلود برأسها وهي تقول:

-عميد الكلية صاحب بابا تعالي نروحله ونعرف منه كل حاجة.

تحركت خلود بعد أن أمسكت بيد رباب، وصعدتا الدرج حتى وصلتا إلى أول الممر المؤدي إلى مكتب العميد واستمرتا في المشي حتى توقفت رباب في منتصف الطريق، وهي تنظر إلى مكتب هيئة التدريس، نظرت لها خلود قائلة:

-وقفتي ليه؟

-عايزة أدخل أسأل عليه هنا يمكن يكون موجود...

هزت خلود رأسها بالموافقة وهي تقول:

-تمام وأنا هروح لدكتور عبد الستار أسأله خلصي وتعاليلي هناك...

توجهت رباب نحو باب المكتب وطرقته بلطف فسمح لها أحدهم بالدخول، دلفت رباب المكتب لتجد أمامها شاباً جالساً على الأريكة وآخر يجلس على مقعد يتوسط مكتب خشبي كبير، بالطبع أماكن جلوسهما توضح أن المسئول هو من يجلس على المقعد الرئيس والآخر يبدو أنه مجرد ضيف، ألقت رباب التحية وهي تنظر للشاب الجالس على المقعد فابتسم لها قائلاً:

-أهلاً وسهلاً أي خدمة؟

-لو سمحت أنا بسأل عن دكتور إبراهيم أبو العلا؟!

اعتدلت ملامح الشاب وكأنه يفكر ويردد الاسم بصوت مسموع، حتى قال:

-دا تبع هيئة التدريس هنا؟

-أيوه معيد في الكلية...

قالتها رباب بجدية فهز الشاب رأسه بالنفي، فتابعت رباب:

-متعرفهوش..؟!

تبسم هو بخجل ليتحدث قائلاً:

-لا أقصد مفيش حد بالاسم دا ...

نظرت له رباب بغضب، وهي تقول بداخلها: هل هذا الأحمق يريد إنكار إبراهيم بعد أن اتفق معه،خرجت رباب وأغلقت الباب خلفها لتتوجه نحو مكتب العميد كما اتفقت معها صديقتها ولكنها استمعت إلى أحدهما ينادي من الخلف:

-يا آنسة يا آنسة...

استدارت رباب لتجده الشاب الذي كان يجلس على الأريكة منذ قليل...

-أي خدمة؟

قالتها رباب بغضب، فابتسم الشاب وهو يقول:

-إبراهيم هتلاقيه في المكتب اللي على الشمال دا قدام مكتب العميد...

رفعت رباب حاجبيها وهي تقول:

-بس الأستاذ اللي كان قاعد معاك قال...

قاطعها الشاب وهو يقول: دا مبيحبش يساعد حد وشخصية رخمة.

تركته رباب وتوجهت حيث كانت وتحديداً إلى المكتب الذي أشار إليه الشاب فدلفت إليه دون أن يأذن لها أحد لتجد بداخله شاباً يجلس على مقعد وأمامه مكتب خشبي كبير، نهض الشاب وهو يقول:

-إيه يا آنسة في حد يدخل كدا بالطريقة دي؟!

لم تبال رباب لغضبه وسألته بصوت عال:

-إبراهيم أبو العلا موجود؟!

-لا مش موجود حضرتك مين؟

-أنا خطيبته...

عندها ابتسم الشاب وأشار لها بالجلوس وتغيرت ملامحه تماماً ليسألها: ما هو مشروبها المفضل؟ فشكرته وهي تتابع:

-أنا مش عارفة أوصله...

-هو فعلا مشغول بقاله فترة...

قالها الشاب وهو يجلس ثم تابع وهو يضحك:

-عريس جديد بقى...

انتفضت رباب وهي تقول:

-هو مين اللي عريس؟

اعتدلت ملامح الشاب ورفع حاجبه الأيمن وكأنه ينتقم من إبراهيم وأصبح عدواً له فجأة، وقال:

-إبراهيم أبو العلا فرحه كان من أسبوع يا دكتورة...

***

على طريق مصر إسكندرية الصحراوي...

تسير سيارة نقل تحمل أثاث منزلي وبعض الأجهزة الكهربائية، يقودها رجل كبير في السن يضع في فمه سيجارة، ويحدق للطريق لضعف بصره، بجواره يجلس وائل وأمه، ينظر وائل للطريق وهو يرى

أمامه وجه رباب، ربما طلب العيش في الإسكندرية حتى يستطيع أن يعاتبها أو ينتقم منها هو نفسه لا يعلم ماذا يريد...

الريحاني يجلس علي كرسي وائل المتحرك وهو محمل على السيارة من الخلف، لا أحد يراه وربما هو نفسه قد شعر بالملل لبطء تلك السيارة، وإن سمح له سام لأخذها في دقيقة إلى الإسكندرية، ولكن مهمته هي تتبع وائل وحمايته فقط.

نتحدث عن ديون الحياة ولكن بداخلنا شيطان يكذب تلك المقولة (داين تدان).

وصلت رباب أمام المنزل المكتوب في العنوان الذي كتبه لها صديق إبراهيم لتجد رجلاً عجوزاً جالساً بالداخل، يبدو أنه حارس العقار، اقتربت منه رباب وهي تقول:

-لو سمحت الدكتور إبراهيم أبو العلا شقة كام!!

نهض العجوز وهو يقول:

-الدور الأول شقة اتنين.

صعدت رباب السلم وهي تنظر لجدران المنزل القديم بدهشة، كيف لعريس أن يتزوج في منزل قديم هكذا، دقت جرس الباب لتفتح لها امرأة في العقد الثالث من عمرها، نظرت لها رباب من أسفل إلى أعلى ثم قالت:

-إبراهيم أبو العلا ساكن هنا؟!!

-أيوه إنتي مين؟!

قبل أن تجيب رباب على سؤالها شاهدت إبراهيم يأتي من الداخل وهو يقول:

-أيوه يا آنسة خير؟!

نظرت له رباب بغضب وهي تقول:

-خير!!عامل مش عارفني حضرتك؟!

ثم نظرت للمرأة وهي تقول:

-البيه كان خطيبي أنا جاية أقوله إنك مش راجل بس، وخد دبلتك أهي ...

قالتها رباب وهي تلقي بالدبلة في وجه إبراهيم وذهبت، نزلت ببطء شديد وهي مستعينة بجدار السلم حتى أصبحت أمام العجوز مرة أخرى وهي تبكي بشدة، اقترب منها وهو ممسك بكرسيه قائلاً:

-اقعدي يا بنتي، مالك بس؟

جلست رباب واضعة يدها على فمها وتزداد بكاءً كلما تحدث العجوز... فتابع قائلاً

-معلش يا بنتي واضح إنه ضحك عليكي، بس لازم تفهمي حاجة مهمة الحياة دي ديون زي ماعملتي هتلاقي...

نظرت له رباب بدهشة، وهي تتذكر وائل عندما رآها مع إبراهيم ثم نظرت إلى أسفل واستمرت في البكاء...

***

يجلس مراد يحتسي الخمر في منزله، فإذا بنيران تشتعل في كل أركان المنزل ولا يعلم من أين أتت، وأي سبب أدى إلى ذلك، نهض مراد مسرعاً والنار تلاحقه في كل مكان، ولكنه في النهاية استطاع الخروج من المنزل وركض في الشارع كالمجنون، متخذاً أحد الشوارع للهروب، فإذا بكمين أمامه وضابط شرطي ينظر له، فاستدار مراد وتحرك في

الاتجاه المعاكس للكمين، حتى ركض خلفه رجل ضخم له شارب عريض، ووقف أمامه قائلاً:

-بطاقتك.

أخرج مراد المحفظة وهو يرتعش وأخرج منها البطاقة، نظر الرجل لبطاقته ثم نظر إليه قائلاً:

-إنت رايح فين بقى ولا جاي منين ؟!

-أنا بيتي ولع و...

قاطعه المخبر قائلا

-بيتك ولع !! دا أنت سكران طينة، طب تعال كلم الباشا...

-فتشه يا حامد

قالها الضابط للمخبر فبدأ بتفتيشه حتى أخرج من جيبه شريط مخدر، وقطعة بنية اللون من الحشيش وزنها ما يقرب من 100 جرام...

-الله الله ايه كل دا يا عم ركبه البوكس يا ابني...

قالها الضابط بعد أن رأى تلك الأشياء.

وصلت السيارة أمام المنزل نزل السائق وأخذ الكرسي المتحرك من أعلى، ثم وضعه أمام الباب الجانبي للسيارة، نزلت هدى وأمسكت بيد وائل فأقبل السائق وساعدها حتى نجح وائل في الجلوس على الكرسي من جديد، يبدو على السائق هذا الشهامة وصفات أولاد البلد، وكأنه يعرفهم جيداً رغم أن أول مقابلة له بوائل كانت في سيارته الضخمة ...

-ثواني يا أستاذ وهنديلك البواب...

قالها السائق بهدوء وهو يتبسم لوائل ثم تحرك بخطوات صارمة حتى توقف أمام العمارة المجاورة لهذا المنزل الصغير، ثم خرج رجل يرتدي عباءة وصافحه بود، ثم أشار السائق نحو وائل وأمه، فابتسم الرجل الآخر، وأومئ برأسه، وتقدم نحوهما ثم ألقى السلام وقال:

-الحاج خميس كلمني م القاهرة وقالي كل حاجة بس في كلام مينفعش حد يعرفه غير الساكن...

ظهرت الدهشة على ملامح وائل وأمه ثم ابتسم السائق بخجل وهو يقول:

-طب استأذن أنا...

انصرف السائق ثم أخرج الرجل مجموعة مفاتيح واقترب من المنزل القديم وفتح الباب، تقدم وائل بكرسيه، ودلف إلى المنزل خلف الرجل حتى وصلوا أمام الدرج، وهذا الموقف يجعل وائل في ضيق لأنه بالطبع لن يستطيع الصعود، ولا بد أن يحمله أحد، نظر وائل إلى أسفل وأمه تنظر للرجل بخجل حتى حمله وهو يقول:

-أنا اسمي محروس اعتبرني زي والدك متقلقش إنت هتسكن ف الدور الأول...

***

تسير رباب بخطوات صارمة متجهة نحو مكتب عميد الكلية، ثم دلفت الغرفة دون أن يأذن لها أحد ونظرت بغضب قائلة:

-أنا عايزة أعرف ليه حضرتك بتنكر وجوده...

نظر لها العميد باستنكار، ثم نهض وهو يضع يده على المكتب بقوة ويقول:

-إنتي إزاي يا آنسة تدخلي كده!!

زفرت رباب وهي تكرر سؤالها السابق...

-ليه بتنكر وجوده.

-إنتي بتتكلمي عن مين؟!

-إبراهيم أبو العلا المعيد...

قاطعهم طرقات الباب ليجدوا خلود أمامهم ثم نظرت لرباب قائلة:

-في أيه يا بنتي أنا بنادي عليكي وإنتي ماشية زي المجنونة...؟!

نظرت لها رباب بغضب ثم تابعت:

-يا خلود أنا كنت عند إبراهيم ف البيت عايزة أعرف الراجل دا بينكر وجوده ليه؟!

صاح العميد قائلاً:

-اتكلمي بأدب إنتي مش في الشارع...

اقتربت منها خلود واضعه يدها على ظهرها وهي تقول:

-حبيبتي إهدي بس هو هيكدب علينا ليه؟!

-كان في واحد في المكتب التاني قالي إنه موجود وصاحبه كمان...

نظر لها العميد باستنكار وهو يقول:

-مكتب أيه دا ومين اللي قالك كده؟!

-المكتب اللي في وش مكتب حضرتك دا...

جلس العميد وهو يضحك ويقول:

-اللي قدامنا دا مش مكتب؛ دي أوضة أرشيف قديمة وبقالها سنين متفتحتش...

-دا حتي المفتاح ضايع، إنتي مش واخدة بالك يا دكتورة م القفل...

فتحت رباب الباب وهي تنظر للغرفة الأمامية لتجد قفلا يبدو أنه قديم للغاية، عندها تذكرت الرجل الذي أرشدها، والذي كان يجلس في غرفة هيئة التدريس فاندفعت دون حديث وهي تحدث نفسها وتقول:

-كلهم بيكدبوا عليّ...

لم تطرق الباب بل فعلت مثل ما فعلت بمكتب العميد، لتجد أمامها نفس الرجل الجالس، ولكن بمفرده...

-لو سمحت كان في واحد قاعد قدامك وأنا بسأل عن معيد اسمه إبراهيم أبو العلا...

نظر لها الرجل وهو يهز رأسه قائلاً:

-أيوه أيوه خير...

-هو فين!!

-مين دا!!

-اللي كان قاعد معاك!!

-يا آنسة صحيح إنتي دخلتي سألتيني بس كنت لوحدي مكنش في حد معاية ف الأوضة...

-إنتوا عايزين تجننوني، هو دافعلكوا فلوس صح؟!

قالتها رباب بغضب وذهبت...

دلف مراد العنبر واضعاً يده على أنفه من تلك الرائحة الكريهة، وكأنه دلف حمام عمومي لمحطة قطار، نظر حوله ليجد مشهد لم يره من قبل، وأشخاصاً جالسين على الأرض ومنهم النائم على الفراش...

-تعال هنا يا جلنف...

قالها رجل جالس على حافة الفراش فنظر له مراد بغضب وهو يقول:

-الجلنف دا يبقى أبوك ...

انتهي مراد من رده ليجد يداً تسفعه من الخلف ورجل يقول:

-بتشتم المعلم يا ابن الكلب؟!

استدار مراد ورد نفس الضربة للرجل فالتف حوله الكثير، وظلوا يضربونه في جميع أنحاء جسده حتى وقع على الأرض، نهض الرجل الجالس ووضع قدمه على رأسه قائلاً

-بوس رجلي يا ابن المرة...

نظر له مراد بطرف عينيه وهو يتوجع من ضغط قدم الرجل على رأسه ثم قال:

-يا معلم براحة مش كده...

رفع الرجل قدمه عن رأس مراد ثم قال:

-قوموه...

تقدم أحد الرجال وأمسك بيده حتى نهض ثم تابع الرجل...

-تعالي اقعد جنبي هنا إنت جاي ف أيه بقى..

-اتمسكت بحشيش...

-كمية يعني ؟!!

-لا حتة قد كده...

قالها مراد وهو يشير إلى السبابة ...

-ربع حتة يعني يا عم سهلة ..

-يلا مش هتفرق وأنت جاي ف أيه يا معلم؟!

-أنا تاجر سلاح عقبال عندك واسمي فرج الدمنهوري...

***

-طبعاً إنتوا شايفين الشقة واسعة وشرحة، ومستغربين عشان إن المبلغ اللي معاكوا قليل جداً...!

قالها محروس لوائل وأمه داخل الشقة، لم تتحدث هدى وظلت تتأمل المنزل، أما وائل تحدث قائلاً:

-مش فاهم صحيح ممكن توضح كلامك؟!

ابتسم محروس وهو يشعل سيجارته ثم قال:

-يعني عم خميس قالي إن اللي هيسكن هنا لمواخذة يعني عاجز وأمه تعبانة... مبتنزلش كتير...

-ودا أيه علاقته بالمبلغ؟!

قالها وائل بغضب فرد محروس قائلاً:

-يعني أنا بأجر البيت دا من ورا صحابه، هما اختفوا والله أعلم ماتوا ولا حصلهم أيه عشان كدا مينفعش حد يعرف إن في حد ساكن هنا...

هز وائل رأسه وهو يقول:

-فهمت فهمت، تمام متقلقش بس العفش اللي تحت دا هيطلع إزاي...

-العفش دا زمانه طلع ع السطح الرجالة قامت بالواجب من العمارة اللي جنبنا، وحالاً زمانهم جاين بيه ...

...

لم تكتف رباب بأقوال العميد لأنها ذهبت إلى منزل إبراهيم وتحدثت معه...

ربما إنكاره كان خوفاً من زوجته، أو أراد أن ينهي العلاقة بينه وبينها، ربما وجوده من البداية ما هو إلا انتقام!!، قررت رباب الذهاب مره أخرى لمنزل إبراهيم، ولكن بصحبة خلود صديقتها، لعلها تصدق ما تقول:

-هو دا البيت يا خلود...

قالتها رباب بعد أن وصلا أمام المنزل...

-الباب مقفول يا رباب، بصي في راجل قاعد هناك تعالي نسأله...

اقتربت رباب وخلود من رجل عجوز يجلس على كرسيه بجوار المنزل يحتسي كوباً من الشاي...

-لو سمحت هو عم خليل جوه؟

قالتها رباب فنظر الرجل بدهشة وهو يقول:

-عم خليل مين؟!!!

تابعت رباب...

-بواب البيت دا!!

قالتها وهي تشير للمنزل المجاور حتى نهض الرجل وأخرج سيجارة، ثم بدأ يفرقها متأملاً التبغ المتساقط ثم قال:

-البيت دا مقفول من زمان ومحدش ساكنه، عم خليل كان بواب البيت دا فعلاً بس مات من سنين.

-مات!!

قالتها رباب بغضب ثم تابعت:

-أنا طلعت البيت دا من كام يوم، وفي واحد ساكن اسمه إبراهيم أبو العلا واتكلمت مع عم خليل اللي أنت بتقول مات من سنين، أنا دكتوره والله مش مجنونة...

جلس الرجل وهو يقول بصوت هادئ:

-قولتلك البيت دا فاضي من زمان ومحدش ساكنه!!

-رباب يلا بينا نمشي...

قالتها خلود بعد أن شعرت بالخوف...

-نمشي أيه تلاقي إبراهيم إداله فلوس خلاه يقول كده هو كمان، أنا كنت عنده من كام يوم...

-يا بنتي يلا نمشي بس...

قالتها خلود وهي تمسك بيد رباب وتتابع:

أنا هخلي محمود أخويا يشوف الموضوع دا، أهه ظابط ويقدر يتصرف عننا ...

أرادت خلود مساعدة صديقتها رباب، ولكنها لا تعلم علاقتها بعائلة الخطاط قديماً، ولا تعلم أن رباب مجرد ضحية للانتقام من أشخاص أخرى، لم ينته نسل الخطاط بعد، وخلود إحد أفراد العائلة فهي ابنة سامح الخطاط، وهو شقيق مرعي الخطاط، جلست خلود بجوار شقيقها محمود وهو رائد بمصلحة السجون، وحكت له كل ما حدث مع صديقتها رباب، وطلبت منه المساعدة، ربما هي لا تعلم بأن البحث وراء إبراهيم أبو العلا، سيفتح عليهما أبواب جهنم، وسيجعل سام مجبراً على إعلان الحرب على الجميع...

وبينما هما يتحدثان...

قاطعهم صوت والدهم من الخارج الرجل الذي يتعدى الخمسين من عمره، تفرغ منذ سنوات لقضية اختفاء أخيه مرعي وابنه علاء من منزلهما، ولم يستدلوا على أيّ علامة توضح أي شيء...

-اهه بابا جه يا ستي...

قالها محمود فرد والده:

-طالما عاملين اجتماع كده تبقى في مصيبة يا جزمة منك ليها...

-لا يا بابا مفيش حاجة الأكل جاهز...

قالتها خلود وهي تنهض ثم قبلت يده وتوجهت للسفرة، وكشفت الغطاء عن الأكل.

جلس محمود ومد يده على قطعة من اللحم فصفعته خلود على يده قائلة:

-استني بابا بيغير هدومه وجاي...

-أهه جه يا ستي، اقعد بقي يا حاج عايزين ناكل.

جلس والدهم وبدأ يأكل ببطء، أما محمود كان يأكل سريعاً وخلود تنظر إليه ضاحكة...

-محمود أيه رأيك تحكي لبابا عن إبراهيم دا واهه يفيدنا بردو بخبرته...

-مين إبراهيم دا يا خلود...

قالها والدها فرد محمود:

-دا واحد خطب بنت وخلع منها...

-طب وانتي أيه علاقتك بالموضوع دا؟!

-يا بابا ما هي صحبتي ثم إن محمود ما قلش المهم...

-وأيه بقى المهم؟!!

-إنه اختفى وكل ما تسأل عليه حد يقولها مفيش حد بالاسم دا، حتى بيته اللي راحتله فيه قبل كده البواب... قال: إنه مقفول من زمان...

-حاجة غريبة فعلاً طب هي متعرفش حد من أهله ...

-لأ ...

-دا واد نصاب عادي خليها تبعد عن الموضوع...

-ساكن فين الواد دا؟!!

قالها محمود بعد أن انتهى من الأكل...

-بيته في وش جامع رياض الصالحين اللي في سيدي جابر ع الترام ...

قاطعها صوت الملعقة التي سقطت من يد والدها على الطبق، فنظر له محمود قائلاً:

-في حاجة يا بابا...

حاول سامح إعادة ملامحه كما كانت ثم قال:

-لا مفيش حاجة افتكرت حاجة مهمة بس، الحمد لله.

قالها وهو ينهض متوجهاً إلى مكتبه، أغلق الباب خلفه وأخرج هاتفه المحمول...

-ألو، أيه يا جابر بقولك فاكر بيت اخويا مرعي اللي ف سيدي جابر؟!، أيوه اللي اختفي هو وابنه فيه، عايزك تروح تستفسر بأي طريقة مين في البيت دا وأيه اللي بيحصل، استجوب الجيران اتصرف، ماشي هستنى منك تليفون، سلام ...

أنهى سامح مكالمته ثم وضع هاتفه أمامه، ونهض ليفتح دولاباً صغيراً، وأخرج منه ملفاً ورقياً ثم عاد لمقعده وهو يقرأ...

-لم أجد أي تفسير لاختفاء مرعي وعلاء الخطاط، لم تجد النيابة غير دماء على الأريكة وبعض القطرات منها على الأرض، وبعد الفحص توصلوا إلى أن الدماء هي دماء شخص في سن الشيخوخة؛ أي ربما تكون دماء مرعي ولكن أين الجثه إن قتل وأين علاء؟!!، الغريب أنهم أبلغوني بحادث غريب في نفس اليوم، وفي نفس الشارع الذي يسكنه مرعي الخطاط، شاب يدعي عصام قتل بمسدس على يد أحد البلطجية ولم يجدوا الجثة أيضاً بعد وفاته في المستشفى، ولم يجدوا الجاني لأنه هرب، ما السبب وراء اختفاء تلك الجثث ومن القاتل؟!!!

...

لم يهدأ إسماعيل في التفكير وهو على يقين أن البئر هذا يؤدي إلى مقبرة وكنز كبير، أغلق الغرفة وقام برفع الغطاء وبدأ بالتكسير ليتسع مدخل البئر حتى استطاع النزول، ثم البدء بالتكسير مرة أخرى حتى

استمعت زوجته إلى صوت الطرقات فأتت مسرعة ودلفت إلى الغرفة فلم ترى سوى رأس زوجها، وهو مازال يطرق بقوة فسألته بدهشة:

-بتعمل أيه يا إسماعيل؟!

استمر هو بالطرق، وكأنها لم تتحدث ثم أخذ نفساً عميقاً، وهو ينظر لها ثم تابع مرة أخرى وهو يقول:

-عجبك الفقر اللي إحنا فيه، أنا شغلتي التكسير والتعب والشقى، وهنا في كنز ولازم أوصله، مش هتعب وأخد ملاليم ف الآخر...

صمت قليلاً ثم حدق بالبئر وهو يقول:

-وصلت...

ثم صرخ وهو يتابع:

-وصلت...

اقتربت كريمة وهي تنظر لتجد مقبضاً ذهبي اللون، لامعاً جداً قد ظهر لزوجها، شعرت بالخوف والدهشة ولم تتحدث، أما إسماعيل صعد البئر وأراح ظهره على الأرض وهو يضحك بقوة ثم نظر لزوجته وهو يقول:

-هنحقق كل اللي نفسنا فيه، وهنسافر ونخلف يوسف وهتصالحي أهلك الأول قبل كل دا بس بعد ما ربنا يكرمنا بالخير اللي تحت دا.

-تفتكر الموضوع سهل كدا؟!

قالتها كريمة بيأس فتابع إسماعيل:

-يا حبيبتي إحنا هنكسر يومين كمان بالظبط، وأنا أعرف ناس هتخلص معانا في اللي تحت دا مش هنطلع حاجة بس استني لما أحفر وأتأكد هو آثار ولا دهب ولا أيه؟!

جلس وائل أمام شاشة الكمبيوتر وفتح ملف روايته ليكتب من جديد، أما هدى مازالت تتأمل المنزل وهي تتسأل كيف لهذا القدر أن يجعلها من سكان نفس المنزل الذي تربت فيه وهي صغيرة، ونفس الشقة التي كان يسكنها حبيبها الأول (علاء الخطاط)، منذ لحظة وصولهم اكتشفت أن هذا المنزل هو منزل مرعي الخطاط قديماً، قاطعها صوت طرقات بعيدة ولكنها في المنزل ولكن كيف ؟!! الحارس أخبرهما أن المنزل ليس فيه سكان، هي لا تعلم بأن إسماعيل يسكن في نفس الغرفة التي كان يتخذها والدها مسكن لهما قديما، ومازالت الحياة تسير وتخفي عنا أسرارها. تذكرت علاء وهي تتسأل: أين هو الآن؟ وهل مازال على قيد الحياة أم لا؟!، لابد أن الحارس الذي أسكنهم هنا يعرف كل الأحداث، ويعلم ماذا حدث له؟ ولكن هي لن تجرؤ وتسأله!

-ماما...

قالها وائل من غرفته وهو جالس أمام جهاز الكمبيوتر، فذهبت إليه نظر إليها بدهشة وهو يقول:

-ماما أنا... في حاجة غريبة حصلت لازم تعرفيها!!

***

توقفت سيارة جيب شروكي سوداء أمام محروس حارس العقار، وخرج منها رجم ضخم يرتدي بدلة سوداء يحمل حقيبة جلدية صغيرة؛ هذا الرجل يدعي جابر موافي عقيد بالأمن القومي ويعتبر من أذكى رجال الجهاز لديه نبرة صوت مميزة جداً ولديه نظرة لا أحد يستطيع الكذب بعدها أمامه سمار، وجهه يعطيه شيئاً من الجدية الدائمة...أغلق باب سيارته ثم بدأ ينظر حوله واقترب من المنزل قليلاً ثم توقف وأشعل سيجارته البنية وأخذ منها نفساً عميقاً، هو لم ينظر للمنزل متفحصاً

طوابقه أو متأملاً جدرانه،هو فقط ينتظر الوسيط الذي سيأتي ويعرفه بنفسه قبل أن يتعرف عليه هو، بالفعل نهض محروس الحارس واقترب منه وألقى السلام كعادته، ابتسم له جابر ولم يرد السلام فتابع محروس بجملته الشهيرة:

-أي خدمة يا بيه!!

احتفظ جابر بابتسامته ثم وضع السيجارة في فمه مرة أخرى، وأخذ نفس عميق آخر، ثم نظر إليه وهو يخرج الدخان في وجهه مباشرة، وقال:

-مين ساكن ف البيت دا؟!

سعل محروس إثر الدخان ثم قال:

-البيت دا فاضي يا بيه محدش ساكن فيه...

أخذ جابر نفس ثالث من سيجارته وألقى بها أرضاً ثم دهسها بحذائه، ووضع يده على كتف محروس وقال بصوت هادئ:

-قسما باللي خلقك لو ما اتكلمت هخليك شبه السيجارة دي تحت رجلي...

....

-إيه رأيك نعمل اتفاق حلو أنا أخليك تمشي على رجليك وإنت تنتقم من رباب...

استيقظ وائل من نومه على تلك المقولة التي قالها زائر المنام فصاح قائلاً:

-إنت مييين؟!

استيقظت أمه على صوته فأتت إليه مسرعة، وسألته فحكى لها، يبدو أن الكابوس هذا لم يكن في منزلهم بالقاهرة فقط. نظرت أمه إليه بشفقة وهي تقول:

-إهدى يا حبيبي بس مفيش حاجة خير إن شاء الله...

-أنا عايز أعرف مين دا وماله بيا دا؟! أنا بقيت بشوفه أكتر ما بشوفك!

قالها وائل بهدوء فابتسمت أمه قائلة:

-طب إحكيلي شكله أيه دا...

بدأ وائل يصف ملامح هذا الشخص وملابسه، أما هدى بدأت تتغير ملامحها وانهارت في البكاء، اندهش وائل من ردة فعلها، ولكنه لم يسألها واحتضنها فقط، هو كان يظن أن بكائها تعاطف معه، نهضت هدى وتركته في الغرفة وحيداً ودلفت إلى غرفتها، وفتحت الدولاب الخاص بها، وأخرجت الصندوق وفتحته، ثم أمسكت بصورة صغيرة لشاب ولكنها تبدو قديمة جداً،هي صورة الشخص الذي يزور وائل في المنام.

ظل وائل جالساً على فراشه ينظر للسقف والذي انفصل عن الحائط فجأة واهتز أساس المنزل وبدأت الأتربة تنهال على وائل، ولم يستطع الهروب، استمع لصوت أمه وهي تصرخ ثم استمع لصوت الحائط بالخارج، وهو يقع والسقف يليه كل هذا حدث في أقل من دقيقة بسبب تنقيب إسماعيل، سقط السقف على وائل فأغشي عليه، وأصبحت الغرفة عبارة عن فجوة تؤدي إلى أسفل دلفت هدى الغرفة وهي تنادي وائل ولم تر أمامها شيئاً، فسقطت وراء ابنها وخلفها جدران المنزل وأثاثه...

***

يجلس جابر موافي أمام سامح الخطاط في المنزل وهو يبين له أقوال حارس العقار المجاور لمنزل أخيه فقاطعهم رنين هاتف جابر المحمول فرد قائلاً:

-آلو ....

صمت قليلاً وملامحه تتغير من دهشة وحزن ثم عقد حاجبيه وأنهى المكالمة قائلاً:

-طيب طيب أنا جاي ...

-في أيه يا جابر خير؟!!

قالها سامح لجابر فرد قائلاً:

-البيت بتاع أخوك وقع...

-وقع !!! إزاي دا؟

-مش عارف بيقولوا لقوا آثار حفر في الدور الأرضي...

-إنت متأكد يا جابر إن البيت مفهوش حد...؟!

-طبعا متأكد يا باشا بقولك دخلت بصيت بنفسي مع البواب...البيت متفتحش من يومها أصلاً.

***

حكاية فرج الدمنهوري...

أحيانا نتعلق بأشخاص فيرحلوا فترحل معهم سعادتنا لتبدأ حياة جديدة مليئة بالأخطاء.

-انهارده هحكيلكوا أغرب حكاية...

قالها فرج الدمنهوري للسجناء والذي أصبح صديقاً لمراد أبو كليلة...

كان يتحدث والجميع يستمع له فهم اعتادوا على أحاديثه الشيقة التي تجعل الوقت يمضي كالسيف...

فتابع فرج قائلاً:

-طبعا كلنا عارفين إن الدنيا مالهاش أمان يعني؛ أنا مثلاً مكنتش أحب إني أطلع كده...

-كده إزاي يا معلم ما أنت زي الفل اهه؟!

قالها رجل جالس فنظر له فرج بغضب قائلاً:

-محدش يقاطعني...

صمت قليلاً وهو ينظر لهم ثم تبسم قائلاً:

-كان نفسي أطلع راجل محترم، كان نفسي أتخرج من كليتي واسمع كلام أمي الله يرحمها واسمع كلام صاحبي عصام، يااه الله يرحمك يا عصام يا ريتني سمعت كلامك مكنش دا بقى حالي...

عارفين كان نفسي أتجوز البنت اللي بحبها، وكان نفسي أخلي بنتي تفتخر بيا واشتغل شغلانة محترمة، أروح ألاقي بنتي مستنياني وتقولي: يا بابا فين لعبتي؟!

كان يتحدث متأثراً، وهو يحافظ على ابتسامته ثم احتل الغضب ملامحه مرة أخرى وهو يقول:

-صحاب السوء قادرين يدمروا مستقبل أي حد بس اللي مستقبله بيتدمر يقدر يرجع تاني، إنما عارفين اللي بيقتل الأمل بجد هي الخيانة، أيوه الخيانة اللي بتسود حياتنا وبتخلينا نعمل بعد كده كل حاجة

غلط، مش شرط حد يخونا ممكن حد قريب مننا يتخان خيانة بشعة فبتوجعنا إحنا يمكن أكتر منه، متستغربوش إن المعلم فرج اللي بيشتم ويضرب الراجل الظالم تاجر السلاح بيقول الكلام دا انهارده، أنا كنت بني آدم بس الزمن مسبش حد سليم، تحبوا تسمعوا حكايتي!!!

بدأ فرج الدمنهوري يروي حكايته للسجناء بعد نهوضه من مقعده، وكأنه يلقي بخطبة أو محاضرة هامة، الجميع يستمع بخشوع احتراما له، بدأ يتحدث مبتسماً عن طفولته ووالده الذي توفي في حادث قطار، حينها كتبت عليه المسؤولية الكاملة وهو في العاشرة من عمره، عمل بائعاً في أحد محلات قطع غيار السيارات، واستطاع خلال شهور أن يجعل من المحل الصغير محلاً آخر كبير، كان بائعاً ماهراً ولبق الحديث، رغم أنه ترك التعليم لكنه لم يشعر يوماً بالندم، لأنه كان مجبراً على ذلك، توفي صاحب المحل عندما كان فرج في العقد الثاني من عمره فتزوج من ابنته، وتكفل بها هي وأمه، لم تكن مهنة فرج التجارة فقط فهو كان يعمل بلطجي الحي كما أطلقوا عليه، يأتي بحقوق الناس مقابل المال، حتى عرض عليه أحد الرجال العمل معه كسائق مقابل راتب مغري، ولم يمض الكثير حتى اعترف له هذا الرجل: أن السيارة دائماً محملة بالأسلحة، وما هو إلا ناقل معه وأعطاه حرية الاختيار، عاد فرج لمنزله وهو يتساءل هل يبتعد ويعود إلى المحل والوقت الطويل مقابل القليل؟!، أم يعمل مع هذا التاجر مقابل الكثير استقر أخيراً علي الموافقة وبدأ يتعامل مع تجار السلاح والمخدرات أيضاً ليطلق عليه الذراع الأيمن للرجل هذا، لم يخبر أحداً بعمله الغير شرعي إلا صبيه في المحل الذي يشتهر ب (ولاعة) حتى أقرب أصدقائه وهو عصام لم يفشِ له بسره هذا، توقف فرج عن الحديث عندما شاهد مراد يضع إصبعه في أذنه ويدلكها بقوة نظر له بغضب قائلاً:

-إنت بتعمل أيه!!

نهض مراد وهو يقول:

-من ساعة ما قومت تتكلم وأنا مش سامع حاجة...

ضحك الجميع فقاطعهم فرج بإشارة من يده وهو يقول:

-مش مهم إنت تسمع!!

نظر فرج للسجناء ثم تابع:

-وصلنا لفين يا رجاله؟!

تحدث الجميع في صوت واحد قائلين:

-محدش كان يعرف إنت شغال أيه غير ولاعة...

تبسم فرج وأكمل حديثه ثم بدأ الحزن يظهر على ملامحه، وهو يذكر صديقه عصام الذي قتل أمامه على يد أحد أصدقائه المقربين، هو يتذكر جيداً هذا الوغد الذي كان يأتي دائماً لمنزل عصام، وعندما عاد عصام من سفره، تلقى رصاصة في صدره من هذا الشاب، حاول فرج أن يتتبعه لكنه فر هارباً باستخدام دراجته النارية...

***

عقد سام اجتماع بسكان القصر وهم عفاف وإسراء ورجل لا أحد يعلم عنه شيئاً، جلس أمامهم وبدأ يتحدث إليهم بطريقته الخاصة؛ وهي عبارة عن إشارات داخلية تحدث لهم دون صوت، بدأ يشرح لهم مهمته ويسألهم :ماذا عن رجل خائن ترك حبيبته تبكي ليلاً وهو يضحك مع غيرها... أين القانون؟!، ممن ستأخذ حقها؟!، سام مؤمن بالله ويعلم أن الله لن يترك حق أحد وسينتقم من كل خائن في الدنيا قبل الآخرة لذلك سام تطوع للانتقام من هؤلاء... لم يجبه أحد،

فسألهم مرة أخرى: ماذا عن فتاة تركت رجلاً أحبها وعانقت غيره...، لم يتحدث أحد فأجاب سام: أنه سينتقم ويتركهم في الآخرة لله عز وجل، ثم بدأ يضع شروطه؛ والشرط الأول: من يريد العيش في قصره لا يدع قلبه يعشق أحد،اً فإن فعلها وأحب دون أن يتحدث إلى سام ويخبره سيصبح خائناً وسوف يقوم بقتله، الشرط الثاني: من يريد العيش في قصره يطيع أوامره أيّاً كانت حتى ينتهي من مهمته هذه، الكل وافقه ثم نظر سام إلى فريقه وسأل عن ذي الجناح الأسود فأخبرته سامية أنه لم ينته بعد من عمله، أما ابن آدم كان ينظر لسام بمكر وكأنه لم يعجبه الحديث، هو يعلم أن سام لا يعلم ما بداخله الآن فهو لديه السحر الخاص به، وسام لم يعطه الأمان بعد، صمت ابن آدم قليلاً ثم اقترب من سام وأبلغه بموت هدى في حادث العقار الذي سقط، نظر سام خلفه وبدأ يراجع ما حدث حتى يتأكد من صحة الخبر فنظر إليه وسأله: أين ذو الجناح الأسود وكيف يحدث هذا وهو بجوارهم؟!، أخبره ابن آدم أن ذا الجناح الأسود مهمته حماية وائل فقط، وانشغل عن هدى بإنقاذه...

***

استيقظ وائل وهو يتوجع من الألم ثم بدأ ينظر حوله ليجد فتاة بيضاء تردي ملابس الأطباء اقتربت منه وهي تبتسم ثم قالت:

-حمد لله على سلامتك أستاذ وائل...

-أنا فين ...أيه اللي حصل؟!

قالها وائل بصوت مرهق جداً فتحدثت الفتاة:

-إنت في المستشفى إهدى عشان الكلام هيتعبك أكتر...

نظر وائل إلى جسده والشاش الأبيض يغطيه من كل اتجاه، بدأ يتذكر ما حدث وسقوط المنزل به ثم صاح قائلاً:

-أمي فين؟!!

نظرت الفتاة بدهشة ثم قالت:

-مش عارفة والله...

حاول وائل النهوض لكنه لم يستطيع فأراحت الفتاة ظهره مرة أخرى وهي تقول:

-أنا اسمي دعاء مش ممرضة أنا دكتورة ومسؤولة عن حالتك...

-انا مين جابني هنا وأمي فين...؟!

قالها وائل بانفعال فأجابت دعاء:

-واحد اسمه شريف هو اللي جابك هنا، ودفعلك المصاريف،هي مامتك فين طيب عشان نبعتلها...

نظر وائل إليها بغضب وهو يقول:

-أمي كانت معاية في البيت لما وقع...

نظرت له دعاء بدهشة ثم قالت:

-بس هما بيقولوا إن مفيش حد تاني ولا جثث إنت بس غريبة أوي!!

***

يجلس جابر في مكتبه واضعاً أمامه جريدة قديمة بتاريخ 1992 احتفظ بها لحادث غريب من نوعه كان يحكي له والده دائماً عن مقتل شاب يدعى عصام، قتل على يد شاب آخر بطلقة نارية وأصبح جثة

على الأرض ولم يجدوا القاتل، ولم يدلهم عليه أحد، قال أحد الشهود وهو صديق مقرب للمجني عليه يدعي فرج الدمنهوري: بأن الذي قتله كان يتردد معه على منزله كثيراً في السابق ويجلس معه دائماً لكنه لا يعرفه، الغريب أنهم لم يجدوا الجثة بعد دخولها غرفة العمليات وأقوال الطبيب أكدت أنها سرقت من قبل أحد الأشخاص. انتهى جابر من قراءة تلك الحادثة ثم أمسك هاتفه...

-صباح الخير يا محمود، عايزك تعرفلي طريق واحد اسمه فرج الدمنهوري ساكن في 7 شارع رياض الصالحين بسيدي جابر...

مع السلامة يا حبيبي...

نهض جابر وأمسك بحقيبته السوداء الصغيرة وترك المكتب.

***

تشكل ابن آدم في صورة شخص آخر ودلف غرفة الرجل الذي يصطحب سام دائماً في قصره، نهض الرجل من فراشه وهو ينظر لأبن آدم بغضب ثم قال:

-إنت مين ودخلت هنا إزاي؟!

ابتسم ابن آدم وجلس على الأريكة الصغيرة ثم أشار للرجل بالجلوس...

هدوء ابن آدم جعلت الرجل يقلق أكثر، ولكنه طاوعه، وجلس أمامه على الفراش وتابع:

-إنت مين؟!

نظر ابن آدم إليه بحزن ثم قال:

-أنا هنا مش بإرادتي وتحت التهديد ولو خرجت هموت...

تعجب الرجل من قوله فسأله:

-مين اللي مهددك وهتموت إزاي؟!

تلفت ابن آدم يميناً ويساراً ثم قال:

-الشيطان...سام دا الشيطان، وإنتوا هنا كلكوا تحت رحمته، أنا جي أساعدك وأساعد نفسي...

نظر الرجل إليه محدقاً ولم يتحدث فتابع ابن آدم:

-أنا عارف إن إنت اسمك شريف تقدر تقولي بتثق ف سام ليه؟!...

نظر الرجل إلى أسفل ثم نظر إلى ابن آدم مرة أخرى وهو يهز رأسه بالنفي ويقول:

-مش عارف ...؟!

تبسم ابن آدم وهو يقول:...أحكيلك أنا يا سيدي سام وسواس ومسيطر عليكوا بالسحر بتاعه

هو أقنعك إنه هيجيبلك حقك، وينتقم من اللي خانوك...تقدر تقولي مستني أيه؟!

نظر له شريف بدهشة وهو يقول:

-طب وهو هيستفاد أيه؟!

-أقولك أنا يا شريف...سام بينتقم لعيلة الخطاط عشان كان صاحب علاء اللي هدى قتلته، سام مش بيجيب حق حد هو بيجيب حق صاحبه بس...

صمت ابن آدم قليلاً ثم تابع:

-سام داخل دلوقتي... إنت ف جيبك ورقة اقراها كويس ...

اختفي ابن آدم من الغرفة ولم تمض دقيقة فدلف سام غرفة شريف وهو ينظر حوله، فسأله من كان بالغرفة، فصمت شريف ولم يجبه تبسم سام ثم اشار بيده في الهواء فظهرت ساجية واشتعلت النيران في الغرفة ،ثم أشار بيده مرة أخرى، و مرة أخرى فظهر ذو الجناح الأسود وأمسك بابن آدم من عنقه فصرخ ابن آدم وهو ينظر لشريف قائلاً:

-دول شياطين هيقتلك سام هيقتلك...

ضحك سام واقترب منه وأمسكه من رأسه، وأمره أن يتمنى أمنية قبل قتله فطلب ابن آدم أن يتركه يرحل، اقترب شريف من سام قائلاً بغضب:

-إحنا من حقنا نعرف إنت هتقتله ليه مش يمكن هو صح؟!

نظر سام إليه بغضب فتابع شريف:

-مش يمكن إنت بتعمل كدا عشان صاحبك علاء الخطاط..

ضحك سام وضغط على رأس ابن آدم فصرخ ابن آدم وهو يقول:

-أنا علاء الخطاط...

***

دلفت دعاء العنبر وفي يدها جهاز كمبيوتر محمول (لاب توب) وتبسمت لوائل قائلة:

-أنا عرفت إنك بتكتب روايات، قلت: أجيبلك اللاب دا تكتب عليه...

اعتدل وائل وهو يقول بدهشة:

-إنتي عرفتي منين إن أنا بكتب روايات ...

اقتربت دعاء وجلست بجواره ثم قالت بخجل:

-وانت نايم بتتكلم عن رواية بتكتبها وبتنادي على واحدة اسمها ربا...

قاطعها وائل بانفعال:

-انتي ازاي تتكلمي معاية ف الحاجات دي؟!

صمتت دعاء ثم نظرت أرضاً وهي تبكي وتقول:

-أنا آسفة...عن إذنك...

أمسك وائل يدها قبل أن تنهض ثم نظر إلى أسفل بحزن وهو يقول:

-روايتي اللي بقالي سنين بكتبها راحت...ورباب اللي بنادي عليها سابتني عشان واحد تاني.

نظرت إليه بحزن ثم ابتسمت قائلة:

-اللي سابك ميتزعلش عليه، وروايتك هتحكيهالي وأنا هكتبهالك تاني.. اضحك بقي يا عم وائل.

***

جلست رباب بجوار أمها وهي نائمة على الفراش تتنهد، وفي يدها صورة لشاب تبدو قديمة اتسعت ابتسامتها وهي تقول:

-عصام الله يرحمه...

عقدت رباب حاجبيها وهي تقول:

-عصام مين يا ماما!!

تنهدت حنان ثم صمتت قليلاً وهي تنظر للصورة بتمعن ثم قالت:

-عصام دا أول واحد أحبه ف حياتي، كنت لسه عيلة...

تبسمت رباب وأخذت الصورة وبدأت تنظر لها بتعجب ثم قالت:

-مات ليه يا ماما...

نظرت حنان إلى أسفل ثم قالت:

-هحكيلك كل حاجة.

***

لم تنته كوابيس وائل بعد رأي وائل في منامه أنه:

يجلس مستمتعاً بروايته في منزله، والتي أصبحت أكثر تشويقاً وأهمية بالنسبة له، لا يعلم نهايتها هو فقط يكتب ما يخطر في ذهنه، وكأن شخصاً يجلس بجواره، ويعطيه النص كاملاً، قبل أن يبدأ في كتابة الفصل الثاني...دق جرس الباب، فذهب ليرى من بالخارج، اقترب من الباب وقام بفتحه، فعقد حاجبيه وبدأ الغضب يسكن ملامحه وهو يقول:

-رباب!!

كانت رباب تقف أمامه منحنية الرأس ووجهها شاحب، بسبب التوتر الشديد، وقلة النوم وكثرة التفكير، لقد انطفئ جمال وجهها... وظهرت أسفل عينيها هالات سوداء، وتجاعيد من أثر البكاء تابع وائل قائلاً:

-أيه اللي جابك هنا... وعرفتي عنواني إزاي، أظن إسراء مش كدا...

كان يتحدث سريعاً وبغضب ولكنه في الحقيقة يحارب قلبه الذي كاد أن يشق صدره بضربات قوية عندما شاهدها ...

-ممكن أدخل؟!

قالتها رباب بتهكم فأفسح لها الطريق وهو ينظر لملامحها المنكسرة، جلست رباب على كرسي صغير أقصى يمين الغرفة، أغلق وائل الباب ثم جلس أمامها يعاتبها بنظراته، تنحنحت هي ثم قالت:

-أنا عارفة إن أنا غلطانة بس أقسم بالله يا وائل غصب عني، إنت متعرفش أبويا، دا راجل مفتري...

قاطعها وائل بضحكات صاخبة ثم نظر إليها باستنكار وهو يقول:

-أنتي مين أصلا؟!!

عقدت رباب حاجبيها ثم هز وائل رأسه ليوضح قائلاً:

-أقصد يعني إن أنا نسيتك مش فاكر مين اللي غلطان حتى، يعني بدل ما تقوليلي سامحني ونفتح موضوع سخيف، أنا بقولك أنا ناسي كل حاجة وناسيكي شخصياً...

كان وائل يتصنع بالقوة رغم حنينه لها، ولكن أداءه كان متميزاً.

-إنت لازم تسامحني دا ربنا بيسامح يا أخي!!

قالتها رباب فأراح وائل ظهره قائلاً:

-يااه على دي جملة دي مش جملة دي نكتة سخيفة ف زمن كئيب...

ثم اعتدل وهو يتابع:

-ربنا بيسامح عشان هو اللي خلقنا وشايفنا وهيشوفنا، وربنا قوي مش بينكسر بشرك حد ليه، أه الخيانة شرك؛ ومع ذلك إن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به ...

يعني رغم عظمته وقوته مش بيسامح اللي يخونه...

نهضت رباب وهي تبكي قائلة:

-الدنيا كلها داست عليا لا أمّ حست ولا أب رحم، وإنت، آخر أمل ليا بتكمل وتدوس...

ثم نظرت إليه وهي تصرخ في وجهه...:

-دوس يا وائل ربنا يسامحك يا أخي...

نظر وائل إلى أسفل وبدأت مشاعره تغلي كالمياه التي زادت حرارتها، ثم نظر لها بعطف ونهض ليحتضنها بقوة، ازدادت رباب في بكائها وهو كان يبكي في صمت، ثم همس في أذنها قائلاً:

-يا ريتك ماعملتي كدا يا رباب أنا عمري ما حبيت غيرك!!

ردت رباب بنفس الصوت وهي تعانقه بقوة:

-كلنا بنغلط يا وائل والله الظروف كانت أقوى مني، سامحني عشان خاطري...

تنهد وائل ثم قال:

-مسامحك وبحبك ومش هسيبك لوحدك أبداً.

عندها ارتعشت الإضاءة واهتز أثاث المنزل بأكمله، وكأنه زلزال عنيف، مازال وائل يحتضنها وينظر بدهشة حوله، ثم أفلت نفسه من بين يدي رباب وهو يصيح قائلاً:

-أنا عارف إنك مش عايزني أسامحها بس هسامحها غصب عنك، إنت سامعني...

نظرت له رباب بغضب وهي تقول:

-إنت بتكلم مين ...؟!

-دا عفريت يا رباب...

-لأ دا مش عفريت، أنا اللي عملت كدا...

قالتها رباب بصوت غليظ كصوت الرجال؛ ففتح وائل فمه وهو ينظر لها، ولم يتحدث، بدأ شعرها بالسقوط وملابسها... للتحول لرجل تشكلت ملامحه ليرى أمامه زائر المنام، فتابع قائلاً:

-كنت عايز تسامحها يا وائل، أنا مش قولتلك متسامحهاش...

ظل وائل في مكانه ولم يتحرك أو يتحدث من أثر الصدمة...

-أنا جيت بنفسي أعملك الاختبار الصغير دا وإنت فشلت فيه...

قالها الرجل بغضب فرد وائل:

-إنت مين؟!!

-أنا علاء الخطاط، اللي أمك خانته ومش هسيبك ترتاح لحظة.

سقط وائل مغشياً عليه...

بعد أن أعطى سام أوامره بإطلاق صراح ابن ادم أو علاء الخطاط قديماً، خرج شريف من الغرفة وطلب مقابلة عفاف وابنتها إسراء، وجلسا يتحدثان، لم يذهب سام وطلب من فريقه عدم الذهاب وراء شريف.

-أنا أسمي شريف، سام بعتلي واحد من فريقه برسالة وهي؛ إن أنا أتظلمت من ناس وهو يقدر يجيبلي حقي، أنا بقول الكلام دا عشان مش واثق فيه، ومش عارف هو ممكن يعمل فينا أيه، أنا معنديش حاجة أبكي عليها عشان كدا إنتوا لازم تسيبوا القصر دا فوراً...

بدأ الخوف يسكن قلب عفاف وابنتها وقبل أن تتحدث ظهر لهم سام، وبدأ ينظر لشريف بغضب ثم أبلغهم أن حديث ابن آدم ليس صحيحاً؛ فهو من يريد الانتقام من عائلة خليل حارس العقار وهو من

قتل والده مرعي الخطاط لذلك سقط حقه، ولم يكتف بل قام بالانتحار... لم أتركه وانضم إلينا بصورته الجديدة وأصبح ابن آدم...أومأت عفاف برأسها وهي تقول بيأس:

-فعلا أنا كنت حاسة إني شفته قبل كدا ثم نظرت لشريف قائلة:

-ومتأكدة إني شفتك قبل كدا !!

***

-فرج الدمنهوري زيارة...

قالها الشاويش وهو يقف على باب العنبر فنهض فرج بضيق وهو يزفر قائلاً:

-زيارة أيه أنا حد يعرفني أصلا

تبسم الشاويش قائلاً بصوت منخفض:

-دي زيارة سرية محدش يعرف عنها حاجة.

نظر له فرج قائلاً

-سرية ازاي يا عم محما ...

-تعال بس دا راجل شكله بيه...

تحرك فرج بخطوات صارمة وكأن فضوله يقوده إلى مكتب الرائد محمود، ثم دلف المكتب قبل الشاويش ليرى رجلاً جالساً على الكرسي ويشعل سيجاراً، يبدو أنه ذو مكانة، نظر له فرج وهو يقول:

-تحت أمرك يا باشا...

نهض الرجل وهو ينظر له مبتسماً...

***

أنا عبد الرحمن محمد طبيب بمستشفى الميري بالإسكندرية، اليوم أقدم استقالتي لأعود إلى منزلي، وأقضي ما تبقى من عمري بجوار ابنتي الوحيدة، فهي تحتاج لوجودي بشدة في هذه الأيام، وضع عبد الرحمن استقالته على المكتب وترك المستشفى بأكملها، ثم دلف إلى سيارته القديمة، وانطلق بها وبينما هو يفكر في ابنته المصابة بمرض السرطان، وجد أمامه سيارة نقل تحمل طوب جيري اصطدم بها لينهال الطوب فوق السيارة ويفقد الوعي، توقفت السيارات حوله واجتمع الناس وهم يحولون إخراجه من السيارة التي تحطمت...

-يا ساتر يا رب دماغه بتنزف... جامد أوي.

قالها أحد الرجال بعد أن أخرجه من السيارة، بعد لحظات أتت سيارة الإسعاف ووضعوه فيها وانطلقت...

استيقظ عبد الرحمن ليجد نفسه نائماً على الفراش، يبدو أن الإسعاف انتقلت به إلى نفس المستشفى الذي قدم استقالته منها، رغم وجعه ابتسم وهو يقول:

-المستشفي ورايا ورايا ...

استمع لصوت ابنته تغريد التي كانت تصيح قائلة:

-دخلوني لبابا عايزة أتطمن عليه...

انفتح الباب فاندفعت تغريد وألقت بنفسها بين يديه وهي تبكي قائلة:

-سلامتك يا بابا أيه اللي حصل بس؟!

ابتسم عبد الرحمن وهو يضع يده على رأسها وهو يقول:

-متخافيش يا حبيبتي أنا كويس...

ابتسمت تغريد ببراءة عندما استمعت لأبيها يتحدث بصوته القوي، هذه الفتاة التي أتمت الخامسة عشر من عمرها في تلك الليلة، لا تعلم بأنها مصابة بالسرطان حتى لا تتدهور حالتها، ويتابعها طبيب صديق لأبيها على أنها مصابة بضعف في العظام فقط، ولكنه أبلغه بأن حالتها تزداد سوءاً، ولا بد من علاجها بالكيماوي، لكن والدها يرفض أن يراها بتلك الصورة البشعة، وشعرها الذي يتساقط أمام عينيه، هو يعلم بأن العمر بيد الله وإن اختارها ستموت حتماً رغم العلاج الذي سيقتلها من الداخل، الزائر الثاني لعبد الرحمن كان شقيقة جابر موافي، رغم أنه الأصغر لكنه الأكبر مركزاً، والأقوى بشخصيته؛ فعبد الرحمن يستمع دائماً لأرائه وينفذ ما يقوله بالحرف، دلف جابر إلى الغرفة ليرى أخاه نائماً في فراش المستشفى، ورأسه بها بعض الجروح وبجواره تجلس تغريد، ابتسم لها جابر وقبلها، ثم جلس بجوار عبد الرحمن: وهو يقول:

-سلامتك

قالها بحدة وكأنهما على خلاف، ابتسم عبد الرحمن ساخراً ثم قال:

-لسه فاكر إن عندك أخ...

نظر جابر إلى أسفل ثم نظر إليه قائلاً:

-دا واجبي...

-لا يا حضرة الضابط واجبك ف شغلك...

قالها عبد الرحمن مازحاً ليرد عليه جابر:

-دي آية من ربنا يا عبد الرحمن ...

عقد الآخر حاجبيه وهو يقول :

-مش فاهم!!

نظر جابر إلى تغريد وهي تتابع حوارهما بدهشة ثم نظر إلى أخيه قائلاً:

-لأخر مرة هسألك يا عبد الرحمن...

- أيه السر وراء جثة الشاب اللي أتقتل زمان وقولت في التحقيق إن الجثة اختفت...؟!

اعتدل عبد الرحمن وهو يتوجع ثم أراح ظهره وهو يقول:

-موضوع بقاله أكتر من عشرين سنة، بتفتحه ليه؟!!

-عشان في واحد مجرم هربان لازم الجثة تظهر عشان يتحاكم.

ثم نظر إليه غاضبا وهو يقول:

-لو مكنتش أخويا كنت قولت إن أهل القاتل ادوك فلوس عشان تخفي الجثة...

-اخرس...

قالها عبد الرحمن منفعلاً ثم تابع بنفس شدة صوته:

-أنا عمري ما أبيع ضميري ولو بمال الدنيا كلها...

أومئ جابر برأسه ثم نظر جانبه ليجد مصحفاً على الطاولة، فنهض وأمسك به ثم اقترب من عبد الرحمن قائلاً:

-مفيش وقت في حكم هيسقط يا عبد الرحمن، احلف على المصحف دا إنك متعرفش حاجة عن الجثة...

عندها نظر عبد الرحمن إلى أسفل ليعود إلى الماضي، عندما أبلغوه بحالة طارئة، وشاب ينزف إثر إطلاق رصاصة نارية في صدره، ثم نظر لأخيه قائلاً:

-الجثة موجودة يا جابر...

حدق فيه جابر وفكه الأسفل يتساقط من الصدمة، فتابع عبد الرحمن قائلاً:

-بكرة هنروح أنا وإنت وهتشوفها بنفسك...

***

لم تكن كلمات سام لشريف مقنعة ولم يطمئن قلبه بعد، تذكر قول ابن آدم وبدأ يبحث في ملابسه على الورقة التي أبلغه بها، وبالفعل وجدها وبدأ يقرأ:

(سام ليس من الجان كما أبلغك بل هو شيطان، ويريد قتل عائلة خليل بأكملها انتقاماً لصديقه علاء الخطاط، وانتقاما لأبيه الذي قتل غدراً...أما أنت يا شريف فهو يريد قتلك انتقاما لنفسه فزوجته خانته مع أحد أفراد عائلتك، لا تدعه يسيطر عليك، وعليهم، اتركوا هذا القصر فوراً.)

انتهى شريف من قراءة تلك الكلمات ووضع الورقة في جيبه ثانية، وبدأ يفكر في خطة للهروب من هذا القصر هو وعفاف وابنتها إسراء... ولكن ابن آدم ظهر في المرة الأخيرة بصورة لم تكن جديدة بالنسبة لشريف هذا ما أدهشه، حتى ظهر سام أمامه فتراجع شريف، وهو يقول:

-أنا مبقتش فاهم حاجة إنت مين وعايز مني أيه؟!

تبسم سام وبدأ يلتف حول شريف ثم أبلغه أنه يعلم بتلك الورقة قبل أن يقرأها الآن، ويعلم محتواها جيداً، ويعلم بتخطيط علاء منذ البداية، وعلاء يريد الانتقام من عائلة خليل لكنه لن يستطيع طالما هم في هذا القصر؛ لذلك يخطط لخروجهما عن طريق شريف، ثم نظر له ليتذكر متى شاهده شريف في آخر مرة ...

تحرك الرجل بخطوات صارمة وهو يترقب المباني العالية والمحلات الضخمة...

حتى اصطدم كتفه بشاب كان يمر في الاتجاه المعاكس له...

أعتذر الرجل بينما الشاب نظر له وهو يهز رأسه، كأنه يعرفه جيداً ويقبل اعتذاره.

اتخذ الرجل أحد الشوارع الجانبية حتى توقف أمام منزل قديم مكون من أربع طوابق...

***

هذا ما تذكره شريف فأومئ برأسه لسام اعتذاراً...

..

استطاع وائل أن يقرأ لدعاء روايته كاملة في أقل من يوم، وهي مندهشة من قوة سرده وتلك الأحداث الرهيبة التي يحكيها وائل لها، قاطعهم صوت طرقات الباب فنهضت دعاء وفتحت الباب، لم تجد أحداً ثم نظرت يميناً ويساراً...حتى وجدت ورقة على الأرض أخذتها لتقرأ بالخارج ...خاص أ.وائل...

-في حاجة يا دعاء؟!

قالها وائل وهو ينظر لها بدهشة فاقتربت منه، ومدت يدها بالورقة فأخذها وقام بفتحها وبدأ يقرأ:

(اعتذر لك يا صديقي بشدة على كل ما فعلته معك، واليوم أنهي تلك اللعبة معك، وأكرر إعتذاري...أنا من تقدمت لرباب وأخذتها منك لتصبح وحيداً، لم يكن الأمر صعب عندما تشكلت في صورة طبيب، وجذبتها إلي... أعتذر لك أيضاً على حادث السيارة؛ فأنا كنت سائقها...أما رباب لا تتعجب من خيانتها لك، فهذا أمر طبيعي، ومن السهل أن نغفر هذا، لكن كيف لها أن تشاهدك وأنت على الأرض غارقاً في دمائك ولم تفعل شيئاً؟!

-مين دا يا رباب؟!

نظرت رباب إلى أسفل ثم قالت:

-دا خطيبي...

قالتها وهي تدلف إلى السيارة مع إبراهيم وذهبا...

نظر لها إبراهيم غاضباً وهو يقول: إيه اللي جابه هنا دا؟!

نظرت رباب إلى أسفل وهي تقول منفعلة:

-أعمله أيه يعني أقوله متجيش ؟!

تبسم إبراهيم ساخراً وهو يقول:

-لا أنا اللي هكسرله رجله...

قالها وهو يتراجع بالسيارة ثم استدار ليصبح خلف وائل، وانطلق بسرعة ليصدمه من الخلف بقوة ...

مازلت لا تعرفني ...أنا علاء الخطاط وهو نفسه إبراهيم أبو العلا...أتمنى لك وقتاً سعيداً بجوار سام...

انفعل وائل بعد قراءته لتلك الكلمات ثم قطعها وهو يصرخ قائلاً:

-ابن الكلب...

جلست دعاء بجواره وهي تقول:

-فهمني بس مين دا وأيه اللي مكتوب في الورقة؟!

نظر وائل إلى دعاء بحزن ثم قال:

-أنا هحكيلك كل حاجة...

***

عاد فرج إلى العنبر وهو مبتسم، وينظر حوله بسعادة، ثم جلس على فراشه، وأخرج من جيبه سيجاراً ضخماً وأشعله، نظر الجميع له وهم يتساءلون بينهم: من أين أتى بتلك السيجارة الأنيقة، يبدو أن الزائر قد أهداها له، نهض مراد واقترب منه حتى جلس بجواره وهو يقول:

-أيه حكاية الزيارات اللي بتجيلك؟!!

ضحك فرج بصوت عال ثم عقد حاجبيه قائلاً:

-وأنت مال أهلك يا راجل إنت؟!

تراجع مراد برأسه وقبل أن ينهض أمسك فرج بيده قائلاً:

-تعال بهزر معاك...

نظر له مراد وهو يزفر قائلاً:

-يا معلم بلاش الهزار دا أنا بحسبك بتتكلم جد...

ضحك فرج مرة أخرى وهو يزفر دخاناً كثيفاً ثم قال بصوت منخفض:

-بقولك أيه في جماعة قرايبي يقدروا يخرجونا من هنا تيجي معايه!!

ابتسم مراد وهو يقول:

-هيقومولنا محامي؟!

ابتسم فرج قائلاً:

-يا ابني لو محامين مصر كلهم أترافعوا مش هيخرجونا، إحنا نهرب!!

فتح مراد فمه ولم يتحدث ليتابع فرج قائلاً:

-الناس دي تقدر تعمل أي حاجه، وهنطلع من هنا زي الشعرة م العجين...

في فجر اليوم

توقفت سيارة خلف سجن الحضرة بالإسكندرية، ونزل منها رجل ضخم أسود البشرة في يده خنجر ذهبي اللون، ثم بدأ يترقب حوله ليس خوفاً وإنما بحثاً عن شيء ما، ولكنه بالفعل وجده واقترب من الحائط ثم نظر إلى أعلى وتحديداً لنافذة حديدية تعلو رأسه بحوالي نصف متر، رغم طول قامته التي تتعدي المترين، رفع يده إلى أعلى حتى أمسك بالنافذة الحديدية، وتسلق، ثم وضع الخنجر ليقطع الحديد بسهولة، كان الأمر غريباً بالنسبة للسجناء الذين نهضوا ليشاهدوا كيف لخنجر ينشر الحديد بسهولة هكذا دون أن يصدر أي صوت ميكانيكياً، انتهى الرجل من عمله ثم مد يده داخل العنبر ليمسك بيد فرج، ورفعه كأنه دجاجة، سحبه إلى الخارج ثم أمسك بمراد، وأخرجه ثم ذهب لسيارته وأحضر مربعاً حديدياً مرصوصاً ووضعه على النافذة التالفة..

صاح رجال الشرطة وأطلقوا أصوات الصفارات التي تدل على هروب أحد السجناء،انطلقت السيارات حول المبنى، والرجال يركضون على أقدامهم وبجوارهم كلاب مدربة، يجلس محمود الخطاط في مكتبه ويشعل سيجارته برعب لأنه يعلم أن رؤساءه لم يغضوا

أبصارهم عنه وسوف يسأل وربما يحاكم، وخلال تفكيره العميق وقعت عينيه أسفل مكتبه على عقب سيجار ضخم،عقد حاجبيه وهو يقترب... ثم التقطه وجلس يتأمله متسائلاً: كيف أتى إلى هنا ومن صاحبه؟، ثم قام بالنداء على الشاويش المسؤول عن مكتبه قائلاً:

-ياجماااال...

دلف الشاويش الغرفة وهو يقول:

-أيوه يا باشا تحت أمرك...

-أيه اللي جاب دا هنا ؟!

قالها محمود وهو يضع عقب السيجار أمام عينيه:

تلجلج الشاويش للحظات ثم قال:

-معرفش يا باشا...

نظر له محمود غاضباً وهو يقول:

-مين دخل مكتبي وأنا مش موجود يا جمال؟!

نظر جمال إلى أسفل وهو يقول:

-هقول على كل حاجه يا بيه، بس أمانة تسامحني...

تنطلق السيارة وبداخلها مراد وفرج في الخلف، وكان يقودها الرجل الضخم الذي أخرجهم من العنبر، كان فرج يصفق بيديه قائلاً:

-هاهاها هربنا يا دكش...

نظر له مراد بحزن وهو يقول:

-أنا خايف يا معلم...

توقف فرج عن ضحكاته ثم قال ساخراً:

-ما تخليك راجل بقى، خايف من أيه نحن في إيدين أمينة، يا أمينة.

نظر فرج أمامه ليرى كميناً منصوباً مكون من سيارة شرطة وخمسة من أفراد الأمن، صاح فرج في السائق قائلاً:

-وقف وقف كامييين!!

استمر الرجل بنفس السرعة ولم يتحدث، بدأ مراد يصيح هو أيضاً ويقول:

-أتمسكنا خلاص...

توقفت السيارة ليلتف حولها رجال الأمن وقاموا بإخراج مراد وفرج وكبلوهما، ثم وضعوا شريطاً أسوداً عليّ أعينهم ووضعوهم في السيارة وانطلقوا ...

..

بعد أن قصت حنان علي ابنتها رباب قصة غرامها مع عصام وهي تضحك وتبكي وتصف بيدها وكأنها تقوم بتمثيل المشاهد حتى قاطعتها رباب قائلة:

-طب بعد كل دا مات واتجوزتي بابا دا ليه... وهو أصلا مات إزاي؟!

نظرت حنان إلى أسفل وصمتت قليلاً ثم قالت:

-عصام جدك كان بيرفضوا عشان معندهوش شقة ولا شغال، فقرر إنه يسافر...

تبسمت رباب قائلة:

-يسافر عشان يشتغل ويجيب شقة .

أومأت حنان رأسها ثم قالت:

-مراد أبوكي كان أقرب واحد لعصام صحاب من الدرجة الأولى يعني.

***

اعلم جيداً أن بعض المشاهد في حياتك أنت بطلها، وغيرك يمثل نفس دورك في مشاهد أخرى قد تكتشف مع الوقت أنه الدّين.

خرج عبد الرحمن من المستشفى بعد أيام معدودة، وذهب لمنزله مع ابنته تغريد ثم طلب منها الانتظار، سيذهب لزيارة أحد أصدقائه ويعود بعد قليل، خرج من المنزل ودلف إلى سيارة سوداء وهي سيارة شقيقه جابر، ثم نظر له قائلاً:

-إنت ليه اسمك الثنائي جابر موافي، مع إن أبونا اسمه محمد؟!

تبسم جابر ساخراً وهو يقول:

-جدي كان مخلص في شغله عن أبوك...

نظر له عبد الرحمن بغضب وهو يقول:

-طب إدعيله، عشان إحنا رايحين عند...

عقد جابر حاجبيه وهو يقول:

-مش فاهم ...

-اطلع اطلع هتفهم لما نوصل...

انطلق جابر متوجهاً لمقابر محرم بك حتى توقف أمام البوابة الرئيسية، ونزل من سيارته، بعدها نزل عبد الرحمن متوجهاً إلى الداخل بخطوات صارمة، وخلفه يسير جابر بخطوات مثله، حتى وصلا إلى غرفة صغيرة تبدو أنها غرفة التربي.

-عبجوااااااد

قالها عبد الرحمن بصوت عال، حتى خرج لهم رجل عجوز يرتدي عباءة قديمة متسخة ثم نظر لهم بدهشة وهو يقول:

-انتوا مين يا بهوات؟!

تبسم عبد الرحمن وهو يقول:

-مش فاكرني؟!

ظل التربي ينظر له ويتفحص ملامحه بدقة حتى ابتسم وهو يقول:

-دكتور عبد الرحمن، أهلاً أهلاً.

قالها وهو يقبل عليه ويحتضنه، نظر له جابر بدهشة، يبدو أنهم على علاقة قوية...

-تعال افتح تربتنا....

قالها عبد الرحمن لينظر له التربي برعب ولم يتحدث...

-في أيه ما تسمع الكلام يا راجل إنت...!!

قالها جابر بغضب فنظر له عبد الرحمن وأشار له بالصمت، ثم نظر للتربي قائلاً:

-متخفش يا عبد الجواد، أنا عارف هعمل أيه؟!

-في تربي يخاف من الترب دي حاجة تضحك والله...

قالها جابر ساخراً ليرد عليه عبد الجواد:

-يا باشا التربة دي غير أي تربة، دي فيها اللهم أحفظنا جن...

ضحك عبد الرحمن وهو يقول:

-تعال بس افتحها ...

تقدم التربي بخطوات بطيئة وخلفه عبد الرحمن وجابر، حتى وصلا أمام التربة، وقام بفتح البوابة الحديدية ليظهر لهم سلم صغير، عندها نظر عبد الجواد لهم قائلاً:

-كدا أنا مهمتي انتهت، أنا هستنى هنا...

أومأ عبد الرحمن برأسه ثم نزل درجات السلم بحذر، أما جابر ظل واقفاً في مكانه بجوار التربي، نظر له عبد الرحمن وهو يقول:

-تعال واقف ليه؟!

-أنا مش فاهم حاجة؟!

قالها جابر وهو يطيح بيده ثم نزل خلف عبد الرحمن ببطء، وصلا الاثنان داخل المقبرة الواسعة ليشير عبد الرحمن بيده على كفن ممزق، ويبدو أن شيئاً في داخله وهو يقول:

-دا أبوك الله يرحمه...

هز جابر رأسه وهو ينتظر بقية الحديث، فتابع أخوه قائلاً:

-دي بقا جثة عصام...

قالها وهو يشير لكفن آخر، ولكن يظهر ما في داخله من عظام شخص لم تتحلل بعد، حدق جابر للجثة ولم يستطيع الحديث فتابع عبد الرحمن...

-يلا نطلع من هنا، وهحكيلك أنا عملت كدا ليه...

***

يجلس جابر موافي في مكتب وزير الداخلية مباشرة، ويقدم لمساعده تقريراً هاماً دون أن يتحدث، بدأ بنفسه قراءة التقرير وكان محتواه هكذا:

-إلى السيد مساعد وزير الداخلية تحية طيبة وبعد:-

لقد علمت منذ أكثر من عشرين عاماً بقتل شاب يدعى عصام على يد شاب آخر مجهول، بطلقة نارية في صدره، حينها كنت طالباً في كلية الشرطة، ولكني اندهشت كثيراً عندما أبلغني جدي باختفاء جثة المجني عليه، واليوم شاهدت الجثة بنفسي في تربة عائلتي، لا تسألني كيف ذهبت الجثة إلى هناك، لقد أرسل إلي شخص مجهول؛ بأن جثة عصام هناك، فذهبت بنفسي لأشاهدها وبالفعل وجدتها، سيدي الوزير أرجو من سيادتكم إرسال فريق من المعمل الجنائي لفحص الجثة، والبحث عن القاتل من جديد ربما نتوصل إليه بفضل الله عز وجل ثم بفضل فريق البحث...

انتهى مساعد الوزير من قراءة التقرير ثم نظر لجابر قائلاً:

-مين اللي قالك إن الجثة هناك وإشمعنا في تربة العيلة!!

أخذ جابر من سيجارته نفساً عميقاً ثم قال:

-لقيت جواب قدام باب شقتي بيقول كدا...

لا يريد جابر أن يدخل أخاه في تحقيقات ولكنه اكتفى بالإبلاغ، أومأ مساعد الوزير برأسه لينهض جابر ويقولك

-أنا عارف أن سيادتك هتاخد الإجراءات اللازمة، السلام عليكوا...

***

لم تتم بعد....

عزيزي القارئ أعتذر لك لوقف الأحداث هنا لم تنته روايتي بعد..
سنعود مرة أخرى، ولكن الآن سنذهب سوياً لرواية جديدة...

(رواية وائل)

إهداء خاص

لجدي حارس العقار...لوالدي الطبيب..لأمي التي لا أعلم عنها شيئاً

لرباب التي أحببتها، وتركتني وذهبت لغيري.

شكر خاص لمن كان يقرأ لي وأنا أكتب ويحكي لي الأحداث

وللطبيبة دعاء التي ساعدتني كثيراً...شكراً لكم

....

المقدمة

مجمع الإسكندرية

ستكتشف مع الوقت أن إبهامك لا يختلف عن السبابة، ولكن أنت من توهمت يوماً...

اليوم تخرج صادق من كلية التجارة بتقدير جيد جداً، من المفترض أن يكون في هذا الوقت أسعد شاب في الجامعة؛ لأنه مغترب وتعرض لمصاعب كثيرة، أحياناً كان لا يأكل حتى يوفر لنفسه شراء كتاب، يترك زملائه في كافيهات الجامعة، ويذهب ليذاكر؛ لأنه لا يملك المال مثلهم، والآن بعد التخرج هو ليس سعيداً، بسبب صديقه (مصطفى) الذي رسب هذا العام. حاول(صادق) أن يهون عليه بكلمات بسيطة، ولكن (مصطفى) ظل يزفر ويركل الأرض بقدمه كالمجنون، وضع (صادق) يده على كتف صديقه فأزاحها بقوة وهو يقول:

-ابعد عني دلوقتي يا(صادق).

قالها مصطفى ورحل، حينها شعر (صادق) بالفشل رغم نجاحه، لقد فشل في إقناع صديقه؛ أن هذا قضاء وقدر رغم أن (مصطفى) لم يهتم يوماً بدراسته، ظل (صادق) واقفاً في مكانه حتى أتت (منى) زميلته، والفتاة التي تقف جانبه دوماً، اقتربت منه قائلة:

-مالك يا(صادق)، إنت قولتلي هسلم على (مصطفى) وجاي وأنا مستنية برة بقالي كتير...

نظر لها (صادق) بحزن، ثم أمسك بيدها وهو يقول:

-مفيش حاجة زعلان شوية عشان (مصطفى).

نظرت (مني) إلى أسفل ثم نظرت إليه مبتسمة وقالت:

-معلش إن شاء الله يعوض السنة الجاية، بابا مستنينا يلا نروح له.

ربما أصبح (صادق) متوتراً بعد سماع تلك الكلمات؛ فهو سيقابل بعد قليل (الحاج فرغلي) والد (منى) وسيطلب يدها منه للمرة الرابعة، ولكن هذه المرة الأمر مختلف تماماً؛ لأنه لم يعد طالباً، هز (صادق) رأسه وتحركا خارج الجامعة، لو نظر صادق خلفه لوجد مصطفى جالسا على الدرج ولم يغادر فهو يترقبه من بعيد لسبب غير معلوم.

***

أخرج (هادي) مطواة وقام بفتحها وأمسك بقميص شاب آخر ومررها على وجهه، فصرخ الشاب بينما (هادي) يضحك ضحكات صاخبة وهو يتركه ويقول:

-روح لأمك تخيطهالك...

الكل يشاهد في صمت، لا أحد يستطيع التدخل في أمر متعلق ب(هادي) الشاب الذي يسيطر على الحي بأكمله ببلطجة وعنف.

بدأ ينظر حوله وهو يضحك ويقول:

-أيه في حاجة...

ثم اقترب من رجل جالس على المقهى أمامه، وركل الكرسي بقدمه وهو يتابع...

-ما تقوم ترش ميه على الدم اللي ف الأرض دا...

نهض الرجل بخوف وأمسك بكوب المياه الذي كان أمامه، وفعل مثل ما أمره (هادي) ثم نظر أمامه بحزن لابنته الصغيرة وهي مندهشة من تصرف أبيها، كيف له أن يطيع هذا الشاب بتلك السهولة؟! كيف يتحدث معه هكذا وأبوها لم يعمل شيئاً؟!، انتهى الرجل من عمله ثم اقترب من ابنته واحتضنها وهو يقول:

-تعالي يا نوال ادخلي يا حبيبتي.

نظرت له الفتاة بحزن وهي تقول:

-بابا هو بيكلمك كدا ليه؟! ما تضربه!

تبسم الرجل بيأس ثم أخذها من يدها ودخلا المنزل، طرق الباب فتحت لهما ابنته الكبيرة والتي كانت تشاهد من النافذة ما حدث، ولكنها أكثر حكمة من أختها الصغيرة؛ فهي تعلم أن مهنة والدها تجعل (هادي) يتصرف معه كما يشاء؛ فهذا الشاب بلطجي ووالدها حارس عقار، ليس لديه ظهر كما يقولون، وليس لديه ابن يأخذ حقه، ولكنها ستفعل حتماً شيئاً حتى وإن كلفها الأمر إصابة في وجهها من مطواة (هادي)، انتظرت حتى جلس أبوها ثم ارتدت حذاءها بسرعة فنظر لها والدها وهو يقول:

-رايحة فين يا (نجلاء)، لم تنظر له وخرجت مسرعة...ومازال (هادي) يقف في منتصف الشارع فانقضت عليه من الخلف وصفعته بقوة وهي تقول:

-أبويا مخلفش راجل بس عنده بنت بمية راجل.

استدار (هادي) وهو ينظر لها بغضب، وأخرج سلاحه مجدداً فتراجعت (نجلاء) للخلف وقبل أن يقترب (هادي)، توقفت بينهما سيارة مرسيدس سوداء، الكل يعلم هي سيارة من ومن يقودها، فهو الشاب الذي لا أحد يستطيع النظر إليه دون سبب حتى لا يغضب عليه أبوه (يسري العطار)، أما هذا الشاب فهو (حازم العطار)، ويعيش هو ووالده في المنزل الذي يحرسه (الحاج بيومي) والد (نجلاء)... خرج (حازم) من سيارته وهو ينظر ل(هادي) بغضب فتبسم (هادي) واغلق المطواة ووضعها جانبه وهو يقول:

-خلاص هسامحها عشان خاطرك يا(حازم) بس قولها المرة الجاية هقطع إيديها...

تبسم (حازم) ساخراً واقترب منه وأمسك برقبته وهو يقول:

-لو بصتلها بس يا هادي هقتلك والمرة دي هسيبك عشان خاطر أمك الغلبانة...

ثم دفعه للوراء واستدار ينظر ل(نجلاء) مبتسماً فابتسمت له، ودلفت إلى المنزل، أغلق سيارته ودلف نفس الباب، وهنا يأتي الفرق فهي ستدلف باباً صغيراً يؤدي إلى غرفة واحدة، أما هو سيأخذ الدرج ويدلف باباً ضخماً يؤدي إلى شقة واسعة.

***

يجلس (صادق) أمام (الحاج فرغلي) تاجر السمك الشهير ف الإسكندرية ووالد الفتاة الذي يريد (صادق) خطبتها، وانتهى الحديث بينهما سريعاً بالرفض؛ لأنه لا يعمل وحديث التخرج ومستقبله غير مضمون، نهض (صادق) وتوجه نحو الباب ثم نظر للرجل، وهو يقول بحزن:

-صدقني مش هتلاقي واحد يحافظ على بنتك زيي، ربنا يسامحك...

انتهى (صادق) وخرج وأغلق الباب خلفه، فخرجت (منى) وهي تصرخ في وجه أبيها وتقول:

-ليه كدا حرام عليك؟!

نظر والدها إلى أسفل ثم قال:

-يا بنتي صدقيني الولد عاجبني بس دا حتة شقته إيجار ومبيشتغلش، هيصرف عليكي إزاي..؟!.

ظلت (منى) تبكي فاحتضنتها أمها وهي تنظر لزوجها وتعاتبه بعينيها...

وصل (صادق) في الطريق المؤدي إلى منزله ليجد (هادي) يتشاجر مع شاب آخر، ويركله بقدمه ويخرج المطواة ...فركض (صادق) نحوه وأمسك بيده وهو يقول:

-مش هتبطل جنان بقى يا ابني إنت عايز أمك تموت بحسرتها عليك، تعال معايه...

أخذه من يده كالأب وابنه، وطاوعه (هادي) بكل هدوء فهو يعتبر(صادق)صديقه الوحيد، ويحبه مثل أخيه، أما (صادق) منذ لحظة وصوله للإسكندرية تكفلت به (فيروز) والدة (هادي) واعتبرته مثل ابنها وأكثر، ولم تأخذ منه جنيهاً واحداً مقابل سكنه في منزلها، وأعطته شقة مجاورة لشقتها لأنه ذو خلق ولا أحد يستطيع السيطرة على ابنها (هادي) غيره...

***

لم تكن ثقة (حازم) بنفسه سببها والده كما يظن البعض، ولكن لا أحد يعلم علاقته ب(سام) فهو من أقوى المخلوقات على مستوى الأرض، ولديه قدرات غريبة، ولا أحد يعلم عنه شيئاً غير (حازم)، ولو أراد قتل (هادي) لأرسل له جندياً من فريقه؛ وهو (ذو الجناح الأسود) وقضى أمره في أقل من ثانية؛ لذلك (حازم) يتعامل مع الجميع بثقة، يذهب للجامعة فيرسل معه حارساً من الجان يأتي له بجميع الأحاديث التي يذكر فيها اسمه حتى في أيام امتحاناته لم ينسه (سام) فيرسل (ذا الجناح الأسود) ويأتي بامتحان الغد من مكتب الأستاذ المكلف بوضع الأسئلة، ولكن (سام) لا يستطيع التدخل في العلاقات الغرامية؛ فهو كان ضحية من قبل ويرفض بشدة علاقة (حازم) ب(نجلاء)، قصة الحب التي حتماً لن تنتهي على خير فوالده سيرفض بالطبع زواج ابنه بابنة حارس العقار...

***

يجلس (صادق) في منزله حزيناً واليأس يسكنه تجاه زواجه ب(منى) حتى طرق الباب، فنهض وفتح ليرى أمامه صديقه (مصطفى) رغم حزنه إلا أنه ابتسم له وعانقه وهو يقول:

-واحشني والله يا مصطفى كنت عارف إنك هتيجي...

دخلا ومازال (مصطفى) متأثراً برسوبه هذا العام، جلس (صادق) وجلس صديقه، وهو يقول:

-عملت أيه مع (عم فرغلي)؟

نظر (صادق إلى أسفل وهو يقول:

-رفض عشان معنديش شقة، ومعنديش شغل، بيني وبينك هو معاه حق، أنا همرمطها معايه على أيه!!

أومأ (مصطفي) برأسه وهو يقول بهدوء:

-كنت عامل حسابي...

قالها وهو يخرج من جيبه ورقة ويمد يده بها ل(صادق)...

أخذها (صادق) وبدأ يقرأ بدهشة ثم قال:

-مين (الحاج عبد العاطي) دا وأيه العراق وبغداد وشارع الأحرار مش فاهم؟!

ضحك مصطفى ثم قال:

-دا عمي كلمته عليك وهتسافر تشتغل هناك سنة بالضبط، وترجع معاك شقة ومبلغ محترم تعمل بيه مشروع...

حدق (صادق) مندهشاً وهو يقول:

-طب هشتغل أيه...؟!

-عمي عنده محلات هدوم ومحتاج محاسبين، وإنت واخد اعفى م الجيش يعني خلص وسافر طوالي...

نهض (صادق) وجلس بجوار (مصطفى) واحتضنه قائلاً:

-والله ما عارف أقولك أيه يا عم أنا لو ليا أخ مكنش هيعمل معاية كل دا!

نظر إليه (مصطفى)مازحاً وهو يقول:

-لو ليك أخ أمال أنا أيه؟! يا ابني إنت عبيط...

***

يجلس (حازم) على فراشه ويضع سماعة الهاتف على أذنه ويهمس قائلاً:

-بحبك يا (نجلاء)...

هو لم يكن يحدثها فهي ليس لديها هاتف في الغرفة الصغيرة التي تجمع أباها وأختها معها، وإن كان لديها هاتف فلن تستطيع التحدث وهي بجوارهم، أما (حازم) كان يتحدث مع نفسه اشتياقاً لها هو يعرفها منذ الصغر، ولكن لم يصارحها بمشاعره حتى الآن لذلك، كل ليلة يتحدث مع نفسه إليها ويعترف لها بحبه، قاطعته أنفاس (سام) والذي نام بجواره منذ قليل، وكان يزفر ساخراً من فعل صديقه، وضع (حازم) السماعة وهو يضحك بخجل قائلاً:

-داا أنا كنت بجرب حاجة كدا...

ابتسم (سام) ثم اعتدل ليصبح في وضع الجلوس قائلاً:

-بتحبها إنزل قولها بس متعملش ف نفسك كدا...

حدق إليه (حازم) ثم اعتدل مثله وهو يقول:

-أيه دا يا(سام) أول مرة ألاقيك متعاطف معايه كدا، أنا و(نجلاء)، هو إنت قلت كدا ولا بيتهيألي؟!

ضحك (سام) ثم قال:

-أنا مش متعاطف معاك يا ابني، أنا بس عايزك تخلص وتشوف الحقيقة...

-حقيقة أيه بقى؟

قالها (حازم) بجدية ليرد سام بحدة:

-إن الحب نهاياته محزنة...

***

على أحد المقاهي المجاورة لشاطئ البحر؛ يجلس (مصطفى) و(منى) وهما في انتظار (صادق) الذي انتهي من إجراءات سفره، وأتى الآن، وألقى السلام وجلس، وضع الأوراق على الطاولة... وهو يتنهد قائلاً:

-يوم متعب أوي بجد...

وضع مصطفى يده على كتف صديقه وهو يقول:

-معلش ربنا يديك على أد تعبك...

-يعني خلاص هتسافر بكره...

قالتها منى بحزن فهز صادق رأسه ليؤكد ولم يتحدث...

-يا بنتي إنتي زعلانة ليه أنا معاكي، وزي ما صادق كان بيعمل أنا هعمل أكتر منه...

قالها مصطفى بخبث فنظر له صادق بتوبيخ، ولأن عينيّ مصطفى كانت تقع على جسد مني من أعلى إلى أسفل ثم تابع مصطفى قائلاً:

-بقولك أيه يا صادق سيبلي مفتاح الشقة على ما ترجع...

-الشقة دي إيجار يا ابني وأم هادي هتستلمها خلاص...

-أيووه يا جدعان، طب لما أحب أقوم بدورك مع منى أعمل أيه ...؟!

ضحكت مني قائلة :

-شقتك موجودة يا درش...

نهض صادق وهو يصيح قائلاً:

-أنا مبحبش الهزار دا إنتوا فاهمين...

ثم نظر لمنى وهو يتابع:

-إنتي إزاي بتهزري كدا ما تخليكي محترمة؟!

زفرت منى وهي تقول:

-بهزر يا أخي مصطفى زي أخويا مالك إنت؟!

ركل صادق الكرسي بقدمه، وتركهم، ونهضت منى لتلحق به... لكنه قد ذهب فعادت لمقعدها وهي تنظر لمصطفى قائلة:

-إحنا زودناها فعلاً في الهزار.

ضحك مصطفى وهو يقول:

-دا عيل عبيط سيبك منه تعالي أوصلك

نهضا الاثنان حتى ركب مصطفى دراجته النارية وخلفه جلست مني وانطلق...

***

(منزل صادق السابعة مساء)

انتهى صادق من حشو حقيبته بالملابس، ليدق جرس الباب... فذهب ليرى من في الخارج ليجد أمامه منى، رغم غضبه منها إلا أن ابتسامتها جعلته ينسى ما حدث ويعانقها بقوة، ويتراجع بها ليغلق الباب...

-مش هتنزلني طيب؟!

قالتها منى وهي تضحك ثم وضعت يدها على رأسه، ونظرت له بعينيها الجميلتين، صادق يعلم جيداً بأن قبلة واحدة لن تكفي، وسوف يزيد الأمر شهوة، ويصل بهم إلى ما سيجعلهم نادمين، لذلك أفلتها ببطء وهو يقبل رأسها ويبتعد، فاقتربت هي أكثر ووضعت يدها خلف رأسه حتى قبلته، وأنفها تزفر هواءً ساخناً جعله يرتجف من

الداخل، ويضعف للحظات لكنه يعلم جيداً ما سيحدث إن طاوعها وطاوع الشيطان الذي جهز مزاميره ليقيم حفل زنا قد اقترب، لذلك أبعدها صادق مرة أخرى خوفاً من الله وعليها، فماذا إن حدث له مكروه أثناء سفره ولن يستطيع إصلاح ما أفسده، وحتى إن عاد وتزوجها فلماذا يعصي الله بها؟! وهو من السهل أن يفعل كل هذا بعد الزواج، تيقنت منى بأنه لن يستجيب لغرائزها، فجلست في صمت، وجلس بجوارها يمسح عرقه الذي انهال من جبينه.

-هو حبيبي زعلان مني؟!

قالتها منى بحزن مصطنع فابتسم لها صادق قائلاً:

-لا مش زعلان...

ثم نظر إلى أسفل وبدأ الحزن يسكن ملامحه حتى قال:

-لما دا هزاركوا قدامي أمال من ورايا بتعملوا إيه؟!

زفرت منى قائلة:

-وإنت يعني شايف عملت أيه؟! دا هزار عادي، وقولتلك حقك عليا، صادق إنت بتغير منه؟!

ازداد صادق غضباً وهو يقول:

يا محترمة أنا بغير عليكي، والمفروض إنتي تزعلي لما حد يهزر معاكي كدا مش تضحكي...

ضحكت منى مرة أخرى فنهض صادق وهو يقول:

-بجد إنتي مستفزة جداً، أنا ماشي عشان ألحق الطيارة...

دلف صادق إلى غرفته وهو غاضب، ثم أمسك بحقيبته ذات العجلات، وقبل أن يبدأ بجرها دق جرس الباب، كانت منى الأقرب

لباب الشقة فنهضت وفتحت لتجد أمامها مصطفى والذي اندهش من وجود منى بشقة صادق فضحك قائلاً:

-شكلي جيت ف وقت مش مناسب؟!

ضحكت منى ساخرة وهي تقول:

-لا ادخل ادخل ...

كان صادق يقف خلفها غاضباً من حديث مصطفى، والذي مازال متمسكاً بهزاره السخيف، رغم كل هذا مازال صادق يثق به ثقة عمياء، أفسحت منى الطريق لمصطفى وهو يقترب من صادق ويقول:

-شكلك لسه زعلان مني ياض...

نظر صادق إلى أسفل وهو يقول:

-لا مفيش حاجة...

ثم نظر إليه وهو يقول بانفعال:

-بس أنا بجد مبحبش الهزار دا ...

-خلاص بقى يا عم قلبك أبيض...

ابتسم صادق وهو يقول:

-أنا مش هزعل منك بس عشان إنت اللي هتشيل الشنطة، استنوا أجيبها م الأوضة وجاي...

قالها صادق وهو يدلف غرفته، فنظر مصطفى إلى منى قائلاً:

-طبعا كنتوا هايصين إنتوا؟!

ضحكت منى وهي تضع يدها على فمها ثم قالت:

-يا شيخ اتنيل دا قافش خالص....

-طب أنا مش قافش...

قالها مصطفى وهو يقترب منها فضحكت منى قائلة:

-لم نفسك يا ابني...

خرج صادق ليرى مصطفى، وهو قريب جداً من منى وهي تضحك، فأثاره المشهد غضباً ولكنه لم يتحدث حتى وقف... أمام الباب وقال:

-أنا نازل مش يلا ولا إنتوا هتريحوا شوية؟!

ضحك مصطفى قائلاً:

-لا هنريح شوية...

خرجت منى وخلفها مصطفى وصادق، ثم أغلق الباب بقوة بعد أن نظر لمنزله وكأنه يودعه ويودع كل أركانه التي عاش فيها لسنوات، بعدها اتجه إلى شقة هادي وأمه وطرق الباب بهدوء ليفتح هادي وهو ينظر له، ثم نظر لحقيبته بحزن، فأبتسم له صادق قائلاً:

-هتوحشني يا هادي.

لأول مرة يبكي هادي منذ صباه، فأحتضنه صادق وهو يقول:

-أيه يا عم وأنا هموت!! دا أنا مسافر سنتين وراجع إن شاء الله، فين الحاجة؟! عشان أسلم عليها...

أفسح له الطريق، وهو يمسح دموعه، فتقدم صادق ليجد أمّ هادي جالسة على الأريكة وأمامها أناء، ثم وضعته في حقيبة سوداء صغيرة، ثم نظرت له باكية وهي تقول:

-خلاص يا ابني ماشي...

ابتسم صادق وهو يجيب برأسه فقط، فنهضت هي وأمسكت بالحقيبة ثم قالت:

-أنا قولت أعملك الملوخية اللي إنت بتحبها عشان تفتكرني أول ما توصل...

قالتها وهي تنظر إلى أسفل ثم نظرت له، فقبل صادق يدها وهو يقول:

-هتوحشيني يا ماما، بجد كنتي عوض عن أمي وأبويا...

ثم تحشرج صوته وهو يحاول أن يمنع نفسه من البكاء وهو يتابع:

-خلي بالك من نفسك ومن هادي، وخدي الدوا في معاده، أنا يا دوب بقى أمشي عشان ألحق...

خرج صادق وهو يمسح قطرات الدموع التي سقطت من عينيه، ثم نظر لمصطفى ومنى اللذان ارتبكا عندما شاهدوه أمامهما، ظن صادق أن السبب هو الإضاءة الخافتة وقد أصابهما الفزع ولا يعلم أن مصطفى قد تمكن من أخذ قبلة بعد إلحاح شديد، أمسك صادق بحقيبته ونزل بخطوات سريعة وهم خلفه

***

(العراق)...

هبطت الطائرة في مطار بغداد لينزل منها صادق وفي يده حقيبته، توقف في صالة المطار وهو ينظر حوله، المشهد بالنسبة له كان جديداً، فهي التجربة الجوية الأولى له، وضع الحقيبة بجواره ثم أخرج من جيبه العنوان الذي كتبه صديقه مصطفى... ثم بدأ يسأل عن حي (غاما) دله بعض المارة حتى أصبح هناك، ثم سأل عن شارع (الأحرار) فلا أحد يعلمه، ربما هو أخطأ في المنطقة نفسها، لكن مصطفى أكد له ذلك بدأ القلق يضرب قلبه، ماذا إن لم يجد عم صديقه؟! فهو لا يملك أي نقود للعودة، لم ييأس بعد، وظل يسأل ولم يصل إلى جديد،

ما لا يعلمه صادق أن العنوان المكتوب في الورقة، ما هو إلا عنواناً وهمياً، ولا يوجد شخص من أقارب مصطفى بهذا الاسم في العراق، هو فقط أراد أن يستفرد بمنى فأبعد صادق عنها، تلك الحيلة التي لم تخطر في ذهن صادق، وهو مازال يسأل حتى غروب الشمس، شعر بالجوع الشديد فتذكر الإناء الذي أحضرته أمّ هادي قبل سفره، ولكنه يحتاج للخبز، وضع يده في جيبه، وأخرج ورقة بخمسة جنيهات، هي الآن رأس ماله ولا يملك غيرها، بدأ يترقب حوله ليجد مخبزاً صغيراً، توجه نحوه بخطوات صارمة حتى أصبح بداخله، ليجد أمامه رجلاً عجوزاً يقرأ إحدى الجرائد، تنحنح صادق ثم قال:

-السلام عليكم...

أنزل العجوز نظارته ببطء ثم نظر له قائلاً:

-وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته...

ابتسم صادق وهو يقول:

-لو سمحت عايز بجني عيش...

عندها نهض الرجل وأغلق الجريدة ليضعها أمامه ثم اقترب من صادق قائلاً:

-إنت من إسكندرية ؟!

قالها وهو مبتسم فحدق صادق بعينيه وهو يقول:

-صح عرفت منين؟!!

ضحك الرجل ثم سعل وهو يضع يده على فمه ثم قال:

-أنا أصلا من إسكندرية سبتها من عشرين سنة، بس فاكر لهجتها كويس...

ابتسم صادق وهو يقول:

-ما أنا قلت إن حضرتك مصري بردو!!

أمسك العجوز بكرسي آخر، ووضعه جانب كرسيه ثم طلب من صادق الجلوس ليتحدث معه قليلاً...

***

التقى (حازم) ب(نجلاء) لأول مرة خارج منزلهما صدفة، ابتسمت له فابتسم لها، اقترب منها بخطوات بطيئة، توقف أمامها وهي تنظر أسفل خجلاً ثم أمسك يدها ونظر حوله متبسماً، وكأنه يهرب من عينيها، ثم نظر لها وهو يقول:

-أنا بحبك...

سحبت (نجلاء) يدها وبدأت الدموع تتساقط من عينيها وهي تبتسم ثم تركته وركضت بعيداً، ضحك حازم من فعلها وظل ينظر لها حتى دلفت المنزل، لم يدرك (حازم) ما قاله ولم ينظر للغد الذي حتماً لن يرحمهما من بطش والده، هكذا نحن عندما نحب نبوح بكل شيء، ولم نر شيئاً واحداً من الحقيقة.

***

انتهى الحديث بين صادق والرجل العجوز على أن يعمل معه بالمحل مقابل راتب شهري، صحيح أن الراتب كان قليلاً إلا أن صادق لم ير حلاً آخر، ولأنه سيوفر له سكناً، صحيح أنه سيقيم في غرفة صغيرة بمنزل صاحب المحل، ولكنه أصبح أمراً واقعاً أمامه...

نهض الرجل بعد أن طلب من صادق الذهاب معه إلى أعلى وأغلق المحل، وتحرك بخطوات بطيئة وخلفه صادق حتى صعدا إلى الطابق الأول والأخير بالنسبة للمنزل الذي يملكه هذا الرجل، ثم دلف إلى منزل

مكون من ثلاث غرف وصالة صغيرة، يبدو أثاث المنزل قديماً مما يدل على فقر هذا الرجل، جلس هو ثم طلب من صادق الجلوس، بدأ صادق ينظر حوله بخجل ثم تنحنح قائلاً:

-إنت عايش هنا لوحدك يا عم ربيع؟!

سعل الرجل وهو يخرج علبة سجائر ثم أشعل واحدة، وقدم أخرى لصادق لكنه تابع قائلاً:

-لا شكرا مبدخنش...

تبسم ربيع وهو يقول:

-عايش أنا وبنتي...

نظر صادق إلى أسفل وهو يسأل نفسه: أين ابنته في هذا الوقت المتأخر؟! ربما تكون نائمة! ولكن من الأدب أن لا يسأل،ثم تابع ربيع قائلاً:

-هي زمانها راجعة من الشغل...

عقد صادق حاجبيه ثم اعتدل سريعاً وهو ينهض قائلاً:

-طيب أنا هستأذن بقى يا عم ربيع...

ضحك الرجل وهو يقول:

-اقعد بس رايح فين لسه الأوضة عايزة تتروق، إنت هتتعشى معانا وبعدين تنزل تنام...

***

هند سلطان فتاة في العشرين من عمرها يراها الجميع ملكة جمال الحي، وكل الرجال يتمنون الزواج بها لكنها ترفض دائماً، رفضت الغني قبل الفقير، الوسيم قبل القبيح، ولا أحد يعلم سبب رفضها، حتى

والدها ربيع سلطان لا يعلم سبب رفضها، وعندما يسألها تقول: لا أريد أن أتزوج عراقياً..أريد شاباً مصرياً وسيماً خفيف الظل،هي كانت تكره لهجة أي شاب عراقي، والآن هي تضع المفتاح المعدني في باب الشقة، وتدلف إلى منزلها لتجد والدها جالساً بجوار صادق يضحكون ضحكات صاخبة، توقفت هند في منتصف الصالة قائلة وهي مبتسمة:

-أيه دا يا عم ربيع صوتك جايب آخر الشارع ...

التفت إليها صادق وهو يتفحصها دون قصد من أعلى إلى أسفل، ربما لضيق ملابسها وشعرها الذي يصل لخصرها، حتى وجهها الأبيض مع بعض مساحيق التجميل الرقيقة جعلها كالملاك، نظر إليها والدها وهو يقول:

-اتأخرتي ليه يا هند؟!

تقدمت هند وهي تضع حقيبتها على الأريكة، وتجلس أمامهم وهي تتوجع من الإرهاق، ثم قالت:

-الشغل انهارده كان كتير أوي يا بابا...

-طب أعرفك صادق شاب من مصر، وهيشتغل معاية في المحل...

قالها ربيع وهو يؤكد على كلمة (مصر) حتى ابتسمت هند ابتسامة واسعة وهي تقول:

-أهلاً وسهلاً أستاذ صادق...

كانت لهجتها كأي مصرية ربما يرجع هذا لكثرة مشاهدتها للمسلسلات المصرية، والأفلام القديمة التي تعشقها ...

-دى بقى يا سيدي هند بنتي شغالة في مركز تجميل بس أيه فنانة...

ابتسم صادق وهو يهز رأسه كتحية، كان يظن والدها أن نظرة صادق لها إعجاب لأنه لم يلتفت لغيرها بمجرد دخولها المنزل، ولكنه كان يتعجب من ملابسها وجسدها العاري، كيف لهذا الأب أن يسمح لابنته أن ترتدي هذا ليشاهدها الجميع، والذي لا يعمله صادق... أن والدها يريدها أن تتزوج ليقل الحمل الثقيل، لم تختلف فكرته كثيراً عن فكرة السيدات المصريات، ليصبح مع الوقت الأمر طبيعي وهم لا يعلمون، كم المصائب التي تنزل عليهم وتصبح بناتهم سلعة رخيصة في أعين الجميع. نهضت هند ودلفت غرفتها لخلع ملابسها، وبعد دقائق عادت مرة أخرى بملابس منزلية أكثر إثارة، مكونة من بنطال ضيق من خامة الفيزون كما يطلقون عليه وتي شيرت يظهر كتفيها ومقدمة صدرها، زاد وجه صادق تعجباً مع بعض الخجل ليصبح وجهه في الأرض، ولا يستطيع النظر إليها ولا لوالدها، نهض ربيع ليبدل ملابسه وتركهما بمفردهما لتتحدث هند قائلة:

-إنت منين من مصر يا أستاذ صادق؟!

-من إسكندرية ...

قالها صادق دون أن ينظر إليها، ليستمع لصوتها الذي يقول بشغف:

-الله، إنت إسكندراني ؟!!

قالتها وهي تنهض لتجلس على ذراع الكرسي الذي يجلس عليه صادق...

رائحة العطر التي كانت تفوح منها جعلته يضم كتفيه ويحمر وجهه دون حديث، ضحكت هند عندما شاهدت قطرات العرق التي تتسلل من جبينه ثم قالت:

-أيه يا عم إنت مالك مكسوف كدا؟!

هز صادق رأسه بالنفي وهو مازال يشعر بتغيرات بداخله إثر اقترابها منه...

***

استمع (فتحي العطار) لصوت طنين لمفاتيح معدنية، وهذا يدل على أن (حازم) سيدلف الآن الشقة، نهض بسرعة وجلس على الأريكة التي تقابل الباب حتى التقى (حازم) بوالده، بدأت نظرات التعجب من عين (حازم) تسأل ماذا حدث حتى يجلس والده غاضباً هكذا؟!

-كنت فين كدا يا(حازم)؟!

قالها والده بهدوء مصطنع فأجابه (حازم):

-كنت ف الكلية...

نهض والده وهو يضحك ساخراً ثم قال:

-بنت البواب بتاعنا عاملة أيه

حدق به (حازم) ولم يتحدث، ثم تابع والده وهو يمشي ببطء من حوله:

-البنت حلوة ومتعلمة وأبوها بواب بيت كبير قد الدنيا...

ثم توقف أمام (حازم) ونظر له بغضب وقال:

-بس لما الناس تعرف بعلاقتك بيها هتقول عليا أيه؟!

-وأنا مالي بالناس؟!

قالها (حازم) ببرود فرفع والده حاجبيه وقال:

-أنا هعتبرك متكلمتش دلوقتي، إدخل أوضتك ولو عرفت إنك قابلتها تاني هيبقالي معاك تصرف تاني...

***

ذهبت هند لتنظيف غرفة صادق ثم وضعت فيها فراشاً صغيراً مخصصاً لفرد واحد، كان ينتظرها صادق حتى تنتهي وهو جالس مع ربيع والدها، صعدت هي ودلفت المنزل ثم استندت على ركبتي صادق قائلة بصوت منخفض:

-الأوضة جاهزة...

الغريب أنها كانت تتحدث وكأن والدها لم يكن جالساً أمامها، كانت تتحدث بصوت يثير شهوة صادق، ولكنه كان يستعيذ بداخله ولم ينظر لها، اعتدلت هند وهي تبتعد فنهض صادق وألقى السلام وذهب، تنهدت هند قائلة:

-هتروح مني فين...

ثم التفت لوالدها الذي يحتسي الجوزة وهي تقول:

-اهه دا العريس يا بابا مش التماثيل اللي بيجولي...

دلف صادق غرفته الصغيرة، وخلع نعليه ثم جلس على الفراش وأراح ظهره، رغم الإرهاق الشديد الذي يبدو عليه إلا أنه نهض عندما تذكر منى، يريد أن يكتب لها خطابه الأول، لكنه لا يملك قلماً وورقة ليكتب، تردد كثيراً أن يصعد مرة أخرى، ويطلب من ربيع ورقة وقلماً ولكن خجله جعله يجلس مرة أخرى وهو يزفر، وركل الأرض بقدمه كالطفل، لم يمض الكثير واستمع لصوت أحدهم يطرق الباب، نهض ليرى من في الخارج، ليرى أمامه هند بملابسها المثيرة اقتربت منه، وهو يتراجع حتى أصبحت في الداخل وهي تقول:

-بيقولك الحاج مش عايز حاجة؟!

ابتسم صادق وهو ينظر أسفله خجلاً ثم قال:

-كنت عايز ورقة وقلم عشان أكتب جواب لخطيبتي...

كانت تنظر له بعينيها الواسعتين، وهي تقترب أكثر وهو يتراجع حتى اصطدم بالفراش وأصبح جالساً ثم وضعت يديها على كتفيه واقتربت بشفتيها وقبلته حتى تمكنت منه...

استيقظ صادق وهو يستعيذ من ذلك الحلم، ثم نظر حوله ليرى الغرفة خاوية لم يدخلها أحد تنهد بقوة وهو يقول:

-الحمد لله ربنا يعافينا...

لم ينته من قول كلمته ليسمع طرقات الباب، لكنه تأكد من استيقاظه... ذهب ليفتح الباب فوجد هند أمامه بنفس ملابسها، حدق صادق فيها، فضحكت وهي تقول:

-بيقولك الحاج مش محتاج حاجة ؟!

تذكر صادق حلمه منذ قليل عندما أخبرها بأنه خاطب... فنكدت عليه لذلك قرر تغيير كلامه وقال:

-عايز ورقة وقلم من فضلك...

استدارت هند، وبدأت تصعد أمامه وهو يحاول أن يمنع نفسه من النظر إليها، وهي تتحرك ببطء، ثم أغلق الباب وجلس على الفراش وهو يقول:

-وبعدين في المصيبة دي؟! ربنا يستر!!

استمع مرة أخرى لطرقات الباب، فنهض وفتح الباب قليلاً وهو يخرج رأسه كالجندي الخائف من رصاصة طائشة، فضحكت هند وهي تمد يدها بورقة وقلم، فأخذهما وأغلق الباب سريعاً...

جلس على الفراش وهو مبتسم وأخرج من جيبه صورة لمنى ثم بدأ يكتب الخطاب، الغريب أنه لم يذكر مصطفى صديقه بسوء ولم يخطر في ذهنه أنها مقصودة؛ فهو قال: ربما أخطأ صديقي. بدأ كلماته...

"بسم الله الرحمن الرحيم، حبيبتي مني أنا بكتبلك جوابي الأول من أول يوم وصولي، وعايز أطمنك وأقولك إني اشتغلت ولقيت سكن، وإنتي خلي بالك من نفسك، وابعتيلي جوابات كتير على العنوان دا، وآه صح قولي لمصطفى يبطل الهباب اللي بيضربه دا عشان كتبلي العنوان غلط."

***

ترك (حازم) والده ودلف غرفته وجلس على الفراش، أما والده فدلف مكتبه وكان ينتظره بالداخل سام، ابتسم له وأغلق الباب بعينيه ثم قال:

-انت يا(فتحي) مش عارف تتعامل مع ابنك وقاسي جداً عليه، أنا قلتلك إنه قابلها بس قلتلك بردو خليك هادي معاه ...

نظر (فتحي العطار) إلى أسفل ثم قال:

-مقدرتش يا سام، إنت عارفني من صغري، وإنت اللي مربيني مبحبش الطبقة الفقيرة دي بتموتنا ناقصين عمر...

ابتسم (سام) وهو يقول:

-خير، خير...

لم يكن ظهور سام ل(حازم) هو الظهور الأول كما كان يعتقد، بل كان صديقاً قديماً لوالده ولا أحد يعلم أن سام له علاقة بغيره، فهو ظهر لأول مرة عندما كان (فتحي العطار) طفلاً صغيراً في بطن أمه، والتي كانت زوجة (سام)، ولكن والد هذا الطفل كان عشيقاً لها فقط، وتم قتلهما على الفور، بعد تلك الحادثة لم يكتف سام بقتل الرجل فبدأ يبحث ليجد ابنه الأكبر (فتحي العطار)، ومن هنا ظهر له كصديق لسنوات طويلة وأصبح صديقاً لابنه دون علمه...

***

تعجب صادق من عدم رد منى بأي خطاب حتى الآن، كان يسأل نفسه وهو يغلق المحل وتوجه نحو باب المنزل، لكنه استمع لصراخ فتاة في منتصف الطريق المظلم، اندفع في الاتجاه الذي يأتي منه الصوت ليجد شبان ممسكان بهند وشاب آخر يحاول تمزيق ملابسها، أمسك به صادق من الخلف ودفعه على الأرض، فتركها الاثنان متوجهين نحو صادق، أحدهما ركله بقدمه في منتصف بطنه والآخر أمسك به من الخلف ليأتي ثالثهما ويضربه بيده في وجهه عدت ضربات، كانت هند تجلس على الأرض منهارة تبكي، قام صادق بضرب الشاب الذي يمسك به من الخلف بزراعه حتى تراجع، ثم بدأ بضرب الآخر عدة ضربات ليقع على الأرض ويفروا هاربين اقترب صادق من هند وأمسك بيدها حتى نهضت، فنظرت له وهي تحتضنه وتبكي ابتعد عنها صادق برفق ثم أمسك بيدها متوجهاً نحو المنزل، صعدا السلم ودلفت هند منزلها وهي تقول:

-أنا متشكرة أوي يا أستاذ صادق...

نظر لها وهو يشهق ويزفر من أثر المعركة... ثم قال بصوت هادئ:

-لبسك دا مش كويس يا هند لازم تغيريه...

ابتسمت هند وهي تقول:

-حاضر، مش هتدخل تسلم على بابا...

قبل أن يتحدث صادق... استمع لصوت ربيع من الداخل وهو يقول:

-تعال يا صادق عايزك.

ابتسمت هند وهي تهز كتفيها، ثم تحرك صادق بخطوات بطيئة ودخل خلفها...

-أيه اللي عمل فيكي كدا يا هند؟!

قالها ربيع لابنته بعد أن شاهد ملابسها الممزقة، وبنطالها المتسخ، فهزت هند رأسها بالنفي وهي تقول:

-مفيش حاجة يا بابا أنا هدخل أغير هدومي.

جلس صادق أمام ربيع ولم يتحدث فتحدث ربيع قائلاً

-إيه اللي عمل في البنت كدا يا صادق إتكلم؟!

تبسم صادق ساخرا وهو يقول:

-يا عم ربيع انت وافقت على لبسها صح ؟!، بتسأل ليه أيه اللي عمل فيها كدا؟!، طبيعي في شباب معندهاش ضمير،مش هتعرف تمسك نفسها قدام بنتك...

نظر ربيع إلى أسفل ولم يتحدث فتابع صادق قائلاً:

-بنتك لازم تغير اللي بتلبسه دا...

-قولتلها والله يا بني بس هي دماغها حجر زي أمها، كلمها إنت يا صادق يا ابني هي بتسمع كلامك...

لم يشعر صادق بالحب اتجاه هند ليس لشيء، فقط لأنه مازال يحب منى، منى التي تلتقي بمصطفى في اليوم أكثر من مرة، ولكن مقابلة صادق بهند كانت للمرة الأولي خارج المنزل وفي إحدى المناطق المطلة على الشاطئ، يمشيان ولا يتحدثان، كان صادق يشعر بالملل الدائم تجاه هند أما هي فكانت في قمة سعادتها، صحيح أنها حاولت بكل الطرق أن يمسك صادق بيدها ولكنه كان يمتنع ويبتعد كلما اقتربت،هو وافق على الخروج معها، فقط لأنها وعدته بتغيير نظام ملابسها، وبالفعل أصبحت أكثر تحشماً لذلك هو يسير معها الآن، جلسا على حافة الشاطئ، نظر صادق إلى البحر وهو يتذكر جلوسه بجوار منى بشاطئ الإسكندرية، والابتسامة التي تسكن شفتيه كلما شاهدها بجواره، نظر صادق إلى هند بحسرة، ليجدها تنظر له مبتسمة ولم تتحدث، تنحنحت قائلة:

-ممكن أسألك سؤال؟!

هز صادق رأسه بالموافقة لتسأل هي قائلة:

-حبيت قبل كدا؟!!

ابتسم صادق وهو ينظر للبحر مرة أخرى ثم قال:

-منى ...!!!

عقدت هند حاجبيها وهي تقول:

-منى!! مين دي؟!

تنهد صادق وهو يتابع

-مني دي أول حب في حياتي...

-سبتوا بعض ليه؟!

نظر لها صادق غاضباً وهو يقول:

-مين قال كدا بعد الشر؟!، صحيح أنا سافرت بس إحنا مع بعض...

تبسمت هند بحزن وهي تقول:

-ربنا يوفقك معاها...

-شكرا يا هند...

قالها صادق وهو ينظر إليها مبتسماً ثم نظر إلى أسفل بعد أن لاحظ الحزن الذي يبدو عليها ليقول:

-وانتي محبتيش قبل كدا؟!

نظرت هند إلى الجانب الآخر لها ثم ابتسمت وهي تقول:

-حبيت واحد بس طلع مش راجل ...

-مش راجل إزاي يعني...

-يعني كنت واثقة فيه وف لحظة طيش فقدت عذريتي معاه...

تجمدت ملامح صادق وهو رافع حاجبيه ثم قال:

-دا بجد!!!

ضحكت هند، وكأنها تتحدث عن أمر سهل أوكأنها فقدت معه هاتفها المحمول ثم قالت:

-آه وفيها أيه يعني؟!

نظر لها صادق باستنكار وهو يقول:

-وطبعا مرضاش يتجوزك وقالك أنا متجوزش واحدة غلطت معاها ...

ضحكت هند مرة أخرى وهي تقول:

-دا حصل فعلاً...

نظر صادق أمامه وهو يتعجب لأمرها، كيف ألقت بنفسها بين ذراعي رجل لا يعني لها شيئاً، وكيف يصل بهم الأمر إلى هذا الحد، ثم نظر أسفله وهو يقول: ماذا لو كنت طاوعت منى في آخر زيارة لها في منزلي، وحدث لها ما حدث لهند؟!، هل كنت تزوجت بها؟!، بالطبع كنت سأتزوج بها، ولكن والدها حتما سيرفض ويصبح الأمر فاضحاً ويوافق رغم أنفه، لكنها طريقة لا ترضي الله وأنا على حق...

***

بدأ مصطفي يخطط لمنى حتى تصبح بين يديه، لم يكن الأمر صعباً فهي كانت تسهل عليه كل شيء، أما جوابات صادق كان يرسلها لمصطفى خوفاً من أن تقع في يد والدها ومصطفى يقطعها، ويلقي بها في سلة المهملات حتى يصل الأمر إليها؛ أن صادق لم يسأل ولن يسأل عنها وقد أنساه الشيطان في الغربة، ولكن الشيطان الحقيقي كان صديقه ...

***

يجلس صادق في غرفته منشغلا بمنى لعدم وصول أي أخبار عنها، كان يفكر في العودة لأنه إلى حد ما جمع النقود الكافية لشراء شقة صغيرة، ولكنه استمع لصوت طرقات الباب، فنهض ليرى من؟، ليجدها هند، رغم أنها وعدته بتغير ملابسها الضيقة، إلا أنها كانت ترتدي ملابس مثيرة للغاية، في النصف الأعلى كانت ترتدي تي شرت أبيض ضيق يظهر كتفيها ومعظم جسدها، أما النصف الآخر؛ كانت ترتدي شورت قصير ضيق جداً، نظر لها صادق خجلاً وهو يقول:

-أيه يا هند خير؟!، لم تتحدث هند وهي تدلف الغرفة مبتسمة وأغلقت الباب خلفها فتابع صادق:

-في أيه يا بنتي؟!!

كان يظن أنه حلم وأنه الآن نائم ثم بدأ يقرص يده ليتأكد من أنه مازال مستيقظاً، ضحكت هند قائلة:

-إنت أيه اللي بتعمله دا؟!

تراجع صادق وهو يقول:

-انتي أيه اللي جابك هنا ردي عليا...؟!

-جاية أتكلم معاك شوية مالك في أيه؟!

قالتها هند بغضب...فلم يستطيع صادق الرد إلا أنه جلس على الفراش وجلست هي بجواره...

***

يجلس مصطفى في منزله على الأريكة وبجواره تجلس منى، أتت إلى منزله عندما أخبرها بأنه يشعر بوجع شديد في رأسه، اقترب منها مصطفى وهو يعتدل، ويضع قدماً على الأخرى ثم قال:

-انتي لسه مستنيه صادق؟!

ابتعدت مني قليلاً ثم قالت:

-أنا مستناش حد باعني يا مصطفى، وهو راح ومهنش عليه يبعت جواب حتى

تبسم مصطفي بمكر قائلاً:

-بس الغايب حجته معاه يا منى؟!

-حجة أيه دي اللي تمنعه من إنه يبعت جواب واحد، حتى يقولي هو عمل أيه؟!

-فعلاً معهوش حق أبداً...

قالها مصطفى على طريقة محمود المليجي ثم تابع:

-طب انتي مبتفكريش تحبي؟!!

ابتسمت منى قائلة:

-لما ألاقي حد يستاهل حبي أكيد هحب...

تبسم مصطفي وهو يقترب منها قائلاً:

-طب ما أنا قدامك أهه!!

***

وضعت هند يدها على رقبة صادق وهو يتزحزح بجسده بعيداً.

***

ابتعدت منى قليلاً ولكن لم ييأس مصطفى بعد، حتى وضع يده على خدها قائلاً:

-أنا بحبك...

***

نهض صادق وهو يقول بحدة:

-شرفتي يا هند يا ريت تتفضلي بقى...

ضحكت هند وهي تقترب أكثر وتقول:

-شرفتي أيه بس أنا عايزة بوسة ...

اقترب مصطفي برأسه من منى لتصبح أمامه بعد أن وضع يده الأخرى خلف رأسها ليقبلها وهي تتراجع ببطء لكنها لم تمنعه وهو قد نجح...

***

نظرت هند بعينيها الجميلتين وهي تقترب أكثر من صادق والذي كاد أن يستسلم لشهوته ولرغبتها في التقبيل، الآن تخيل منى تنتظره جالسة في غرفتها تبكي، فابتعد وهو يصيح قائلاً:

-إتفضلي إطلعي بره...

نظرت له هند غاضبة ثم توجهت نحو الباب وخرجت وهي تقول:

-دا شكله مبيعرفش...!!

***

لم تكن تخيلات صادق تختلف كثيراً عن الواقع لأن منى تجلس فعلاً تبكي، ولكن ليس في غرفتها بل في غرفة نوم مصطفى، وهو يجلس بجوارها شارداً، وهي تبكي وتنظر لملابسها الملقاة على الأرض وبقع الدماء التي تسكن الفراش، لم تعد منى عذراء منذ تلك اللحظة، لقد جنت على نفسها ليبدأ كابوس جديد...

***

عادت منى لمنزلها ثم دلفت غرفتها دون أن تلقي السلام على الجالسين حتى لا يرى أحد عينيها التي انطفأت من البكاء، نهضت أمها وهي تبتسم لرجل وشاب جالس بجواره، ثم نظرت لزوجها بخجل، دلفت غرفة منى وهي تقول:

-في أيه يا حبيبتي مالك؟!

نظرت لها منى وهي تبكي ثم ألقت بنفسها بين ذراعيها دون إجابة، لقد تمكن الندم من قلبها وصرخ بداخلها الضمير لتتذكر عصام في تلك اللحظة، وهذا ما جعلها تبكي بعينها اليمنى، أما عينها اليسرى، تبكي لأنها أصبحت كالعاهرة التي فقدت عذريتها بكامل إرادتها، تابعت الأمّ قائلة:

-طب إحكيلي بس أيه اللي حصل؟!

تراجعت منى وهي تمسح عينيها ثم نظرت إلى أسفل قائلة:

-مفيش يا ماما عملت مشكلة مع واحدة صحبتي في الكلية...

ضحكت الأمّ وهي تقول :

-يا شيخة خضتيني، طب تعالي دا في عريس بره جاي يشوفك...

نظرت منى وهي تحدق إليها ثم قالت:

-عريس، عريس أيه يا ماما؟!!

-عريس يا حبيبتي شاب محترم، وعنده شقة وشغال في شركة بترول، هياخدك وتسافروا العراق...

-العراق!!

ضحكت الأمّ وهي تقول:

-يعني هو دا كل اللي لفت نظرك، يلا قومي اغسلي وشك واطلعي قبلي عريسك...

قالتها وهي تنهض لتستمع لصوت ابنتها قائلة:

-ماما أنا مش هينفع أتجوز...

استدارت الأمّ بدهشة وقبل أن تتحدث نهضت منى بصرامة وهي تقول:

-بنتك الجميلة الرقيقة بقت مدام، في واحد ضحك عليها...

انتهت منى من جملتها لتجد كف أمها يلطمها بقوة، وقبل أن تصرخ منى أمسكت أمها بفمها وهي تبكي وتقول:

-ليه كدا يا منى؟!، عملتي فينا كدا ليه؟!، إحنا معملناش معاكي حاجة وحشة؟!، طب أطلع أقول لأبوكي أيه؟ وأقول للناس أيه؟!

تبادلتا الاثنتان في البكاء ومنى تقول:

-غصب عني والله يا ماما سامحيني...

***

لم يشعر مصطفى بشيء وكأن هذا لم يحدث،هو فقط يشعل سيجارته ويصب الخمر في كأسه مستمتعاً بما حدث منذ ساعات، ولكنه ينوي عدم مقابلة منى من جديد، لأنها حتماً ستطلب كما تطلب أي فتاة الزواج من شاب أفقدها عذريتها، ولكن لماذا يتزوج شاب من فتاة امتلكها ووهبت له جسدها بلا مقابل؟!، لم يشتري الفلاح بقرة يأخذ منها الحليب كما يشاء؟!، كم من فتاة باعت جسدها باسم الحب ليذهب الحب من بينهما... وتأتي لعنة من السماء فلا هي انتصرت برجل ولا هو اكتسبت عفافها.

استمع مصطفى لصوت طرقات الباب بقوة، فنهض في فزع ليرى من في الخارج، ليجد منى وأمها، نظر إليهما برعب وهو يقول:

-أهلا يا منى أتفضلوا ...

كانت تنظر أمها بغضب، بينما منى كانت تنظر إلى أسفل وهي في حالة يأس، تقدمت أمها حتى أصبحت في منتصف الصالة، أغلق مصطفى الباب، وتوجه نحوهما ليجد أمها تقول منفعلة:

-بص إحنا مش جايين نضايف، بدل ما الموضوع يوصل للمحاكم وتجرجر، صلح غلطتك بالأدب...

تبسم مصطفى وهو يجلس ويضع قدماً على الأخرى ثم قال:

-وأنا ضربتها على ايدها ولا ادتلها منوم، ما كله بمزاجها...

تفلت أمها في وجهه وهي تقول:

-إنت سافل معندكش ضمير، وأنا بحذرك لو مصلحتش غلطتك أنا هقتلك...

-يا طنط أنا ما قولتش حاجة أنا بحبها وعايز أتجوزها بس أنا معنديش شقة...

زفرت الأمّ وهي تقول:

-المخروبة اللي إنت قاعد فيها دي أيه؟!!

-دي إيجار مع الأسف...

-مش مهم إتجوزها هنا...

تبسم مصطفى وهو يقول: والله معنديش مانع...

ثم نظر لمنى وهو يقول:

-مبروك يا حبيبتي...

***

انتهى صادق من ترتيب حقيبته ثم صعد إلى منزل ربيع، ودق جرس الباب، ليجد هند أمامه نظرت إليه ثم نظرت لحقيبته بحزن وهي تقول:

-خلاص مسافر؟!

أومأ صادق برأسه مبتسماً، أفسحت له الطريق ليدخل ويودع أباها، تحرك صادق ببطء ليجد ربيع جالساً على الأريكة مبتسماً بحزن شديد ولم يتحدث...

-أنا جاي أسلم عليك يا عم ربيع، خلي بالك من نفسك ومن هند...

نهض ربيع وهو يقبل عليه ليحتضنه ويقبله ثم قال:

-خلي بالك من نفسك يا ابني، وإحنا إن شاء الله هننزل مصر قريب وهنجيلك ...

توجه صادق نحو الباب وهو ينظر لهند التي كانت تبكي، الغريب أن ملابسها هذه المرة كانت أكثر تحشماً فنظر لها مبتسماً وهو يقول:

-إوعديني يا هند إنك هتصلي ومش هتلبسي اللبس دا تاني...

ابتسمت هند رغم دموعها وهي تقول بصوت منخفض:

-أوعدك يا صادق، أوعدك هبقى واحدة تانية خالص، إنت علمتني من غير ما تقصد إزاي أخاف من ربنا وأبطل أكون طايشة...

أومأ صادق برأسه وهو يتركها فاستمع إليها من الخلف تقول:

-صادق...

استدار هو ونظر إليها وهي مستمرة في البكاء حتى قالت:

-أنا بحبك ،بحبك أوي...

حدق بها صادق وهو يفتح فمه، ولم يستطع الحديث، ولأول مرة يدق قلبه لأحد غير منى مما جعله يتحرك بخطوات صارمة إلى أسفل...

***

تزوج مصطفي بمنى في أقل من شهر، لم تكن منى مخلصة للدرجة التي تجعلها تحزن وهي بين ذراعي زوجها الجديد وصديق حبيبها، ولم يتذكر مصطفى صديقه الذي أمّن له وكان بجواره دائماً ولم ينظرا إلى عودة (صادق)، ربما تصبح الكابوس الأخير لهما وتنتهي حياتهما بعدها...

***

عاد صادق إلى الإسكندرية ولم يذهب إلى أحد، لقد توجه إلى منزل منى وقلبه يدق من الرعب لا يعلم لماذا؟! رغم سعادته إلا أنه يشعر بالخوف، فتح له والدها وهو ينظر له بتعجب، ثم قال:

-إنت مين؟!!

ابتسم صادق وهو يقول:

-أنا صادق يا حاج مش فاكرني؟!

عقد الرجل حاجبيه للحظات وهو ينظر إليه ثم قال:

-آه آه افتكرتك أؤمرني يا ابني...

-أنا جاي انهارده أقولك إني جبت شقة، وجاي أوفي بوعدي وطالب منك إيد منى، صحيح هي فين؟

نظر الرجل إلى أسفل ثم قال:

-كل شيء قسمة ونصيب يا ابني منى إتجوزت...

كانت هي الضربة الأولى في قلب صادق والذي نظر إليه باستنكار قائلاً:

-إتجوزت!! إنت لسه مش عايزني أتجوزها،هي فين؟! أنا عايز أتكلم معاها ...

كان يتحدث صادق منفعلاً، فرد الرجل قائلاً:

-يا ابني أنا كان نفسي إنت اللي تتجوزها بس أهه اللي حصل... من فضلك أتفضل من هنا...

انتهى الرجل من جملته، وأغلق الباب، صاح صادق قائلاً:

-افتح أنا عايز أقابلها، إنت كداب...

كان يتحدث صادق وهو يبكي ويطرق الباب بقوة ولكن لا مجيب ...

***

من السهل على بلطجي كهادي أن يتعامل مع تاجر سلاح ليترك مشاكل المنطقة، وأهالي الحي لشأنهم ويعمل من أجل المال، بعد وفاة أمه تزوج ولم يترك بيته الذي عاش به طوال حياته، ربما أصبح أكثر ذكاءً، ولديه سلطات وبدأ الجميع يتعامل معه باحترام زائد بعد ركوبه أول سيارة ...

***

دلف صادق شقته فاستمع لصوت هادي وهو يقول من الخلف:

-إنت مين؟!!

التفت إليه صادق مبتسماً رغم ألمه، فصرخ هادي وهو يقول:

-صاااادق...!!

احتضنه هادي بقوة وهو يبكي ويقول:

-وحشتني أوي يا صحبي إتأخرت علينا ليه...!

-وإنت كمان وحشتني يا هادي والحاجة وحشتني أوي هي فين؟!

نظر هادي إلى أسفل وهو يقول:

-الله يرحمها كان نفسها تشوفك...

-ماتت!!

قالها صادق منفعلاً ثم بكى وهو يقول:

-الله يرحمها يا هادي كانت ست طيبة أوي، تعال ادخل...

دخلا وجلسا يتحدثان ثم لمح هادي الحزن في عينيّ صادق بعدها ثم قال:

-صادق إنت فيك حاجة مش مضبوطة في أيه؟!

نظر صادق إلى أسفل وهو يقول:

-البنت اللي سافرت عشانها رجعت لقيتها متجوزة...

نظر إليه هادي بدهشة ثم قال:

-دي معندهاش دم، إزاي تتجوز وتسيب واحد إتغرب عشانها

-معرفش يا هادي معرفش أيه اللي حصل؟! بقولك أيه أنا طالب منك خدمة...

-أتفضل يا صاحبي رقبتي...

-أنا عايزك تجند واحد من معارفك يقف تحت بيت أبوها وأديله الصورة دي، أكيد هي بتزوروا، خليه يراقبها وهي راجعة بيتها، لازم أعرف اتجوزت ليه؟!، ولازم أتكلم معاها...

***

تخرج (حازم) من كليته، ولكنه كان يشعر بالحزن وسط الاحتفال وهو يتذكر(نجلاء) لماذا لم ترد عليه منذ آخر مقابلة هل ترفض حبه لها ؟!

لم يمض الكثير ووجدها أمامه فنهض واقترب منها قائلاً:

-أنا مش مصدق...!

تبسمت نجلاء وجلست فجلس ثم قالت:

-وأنا كمان...!

نهض حازم وهو يقول بدهشة :

-وانتي كمان أيه؟؟

-بحبك...

قالتها نجلاء ثم صرخ حازم لينظر إليه الجميع ثم قال:

-لا تعالي ع البحر ف نفس المكان اللي قولتهالك فيه وقوليلي بحبك...

لم يكن سام غافلاً عنهما حتى ذهب لوالدها، وأبلغه أن ابنته كانت بجوار حازم العطار منذ قليل...

ثم صعد إلى أعلى وأبلغ فتحي الخطاط، وذهب من المنزل...

***

لم ينتظر (صادق) كثيراً حتى استمع بعد يومين لطرقات الباب ففتح ليرى أمامه هادي وهو يقول:

-عنوان مني الجديد...

أمسك به صادق وهو يحدق بغضب ودقات قلبه تعلو ثم ابتلع ريقه قائلاً:

-إنت متأكد يا هادي إن دا عنوانها اللي اتجوزت فيه؟!

أومأ هادي برأسه ولم يتحدث...

عندها خرج صادق من المنزل غاضباً وهو يركض بسرعة دون أن يأخذ أي سيارة حتى وصل أمام منزل صديقه مصطفى، وصعد السلم بسرعة، ثم طرق الباب ليستمع إلى صوت مصطفى من الداخل وهو يقول:

-قومي يا وليه شوفي مين جاي في الوقت دا؟!

انفتح الباب ليجد أمامه منى نظر إليها غاضباً ثم صفعها على وجهها قائلاً:

-ليه؟!!!

صرخت منى لينهض مصطفى وهو يقول:

-في أيه؟!!

أزاح صادق منى بيده متوجهاً إلى مصطفى الذي توقف في مكانه، عندما شاهده، نظر إليه صادق وهو يقترب منه قائلاً:

-أهلاً بصاحبي حبيبي المخلص...

بدأ مصطفى يتراجع للخلف برعب شديد وهو يقول:

-والله يا صادق أنا عملت كدا عشانك إنت مش فاهم حاجة!!

ضحك صادق وهو يبحث بجواره عن أي أداة حادة يقتل بها ذلك الوغد، حتى وجد سكيناً في طبق الفاكهة، أمسك بها فتراجع مصطفى

وهو يصرخ حتى تعرقلت قدمه في الطاولة فوقع أرضاً،عندها ابتسم صادق وهو يلقي بالسكين على الأرض ثم قال:

-إنت مش راجل يا مصطفى وأنا مبقتلش نسوان. قالها وهو يرحل وأغلق خلفه الباب،عندها صرخت منى وبدأت تصفع وجهها بيدها وتقول:

-صادق رجع... طلقني أنا مش عايزاك يا مصطفى...

نهض مصطفى وهو يقول بغضب:

-اخرسي، وحياة أمه لقتله مش دا حبيب القلب اللي راجع ياخدك مني...

قالها مصطفى وهو يفتح الدولاب حتى أمسك بمسدس صغير، وركض خلف صادق، ظل يبحث عنه يميناً ويساراً فلم يجده، ثم ركب دراجته النارية متوجهاً نحو منزله، عندها وجد صادق في منتصف الطريق فصاح مصطفى قائلاً:

-صاااادق...

استدار صادق لتقابله طلقه نارية في صدره فيقع على الأرض، نزل هادي مسرعاً على صوت الرصاصة ليجد صادق على الأرض ينزف، فبدأ يصرخ قائلاً:

-صاادق قوووم...

نهض هادي وهو يخرج من جيبه مسدساً وركض خلف مصطفى لكنه لم يلحق به...

أتت سيارة الإسعاف عندها استمع سام لفتاة من الجان وهي تصرخ، فسألها فأشارت إلى سيارة الإسعاف ثم حكت له ما حدث وانتهت قائلة:

-قتل صاحب عمره...

نظر سام ل عينيها والحزن الذي يبدو عليها فأنطلق وهو يقول:

-استنيني هنا...

دلف سام غرفة العمليات وانطفأت الإضاءة ثم همس في أذن الطبيب قائلاً:

-الجثة دي أمانه عندك ف المقابر بتاعتكوا ...

ثم أتت الإضاءة مرة أخرى ولم يجد الطبيب جثة صادق...

وقف سام في منتصف ممر المستشفى ليجد نجلاء نائمة على نقالة، ودلفوا بها عنبراً آخر، دلف خلفها ثم همس في أذن أبيها قائلاً:

-بنتك هتعيش بس اطلع قول لحازم إنها ماتت، دا لو عايزها تعيش...

خرج والدها ليجد أمامه حازم وهو يشهق ويسأل عنها، فأجابه والدها كما أبلغه سام، فعاد حازم إلى منزله ليجد والده جالساً ونهض عندما شاهده قائلاً:

-نجلاء حصلها أيه؟!...

تبسم حازم ودلف غرفته وأحضر مسدساً ثم عاد لأبيه ووجه المسدس نحوه وهو يقول:

-نجلاء انتحرت بسببك بسبب إهانتك ليها...

وقبل أن يتحدث أبوه كانت الرصاصة أسرع إلى جبينه ليقع على الأريكة والدماء تسيل بغزارة

عندها شعر سام بالراحة، لقد انتقم لشرفه ودمر حياة عائلة العطار، ولكن ينقصه خطوة، ظهر لحازم قائلاً:

-أيه اللي إنت عملته دا؟!...نجلاء لسه عايشه وراجعة حالاً بيتها...

نظر حازم لسام وضحك ساخراً ضحكات صاخبة ثم وجه المسدس نحو رأسه وأطلق رصاصة ليقع على الأرض، عندها نهض سام وظل يضحك ويضحك حتى أتي ذو الجناح الأسود ووقف أمامه قائلاً:

-أعتقد كدا كفاية يا سام...

نظر له سام ثم نظر إلى أسفل وطلب منه الانتقال بجثة حازم إلى المقابر، أما جثة والده تبقى في قصره أسفل حتى يشعر بالراحة تجاه انتقامه، ثم أتت الفتاة التي أبلغته بموت صادق فطلب منها قراءة كلمات على جسد حازم لتعود روحه معه من جديد... وتبدأ رحلة انتقام جديدة...

تمت بحمد الله

الفصل الأخير

عزيزي القارئ أعتقد أنك الآن ترى ما كان ينقصك، وعلمت ماذا حدث لعائلة الخطاط؟! ولماذا؟! وعلمت ما حدث لهدى ابنة خليل البواب، أما رواية وائل فهو لم يكتب فيها غير البداية وكل ما حدث بعدها، كان وجده مكتوب أمامه في أول يوم له في منزل الإسكندرية...

جلس وائل أمام شاشة الكمبيوتر، وفتح ملف روايته ليكتب من جديد، أما هدى فمازالت تتأمل المنزل وهي تتسأل: كيف لهذا القدر أن يجعلها من سكان نفس المنزل الذي تربت فيه وهي صغيرة؟!، ونفس الشقة الذي كان يسكنها حبيبها الأول (علاء الخطاط) منذ لحظة وصولهم وهي اكتشفت أن هذا المنزل هو منزل مرعي الخطاط قديماً، قاطعها صوت طرقات بعيدة ولكنها في المنزل ولكن كيف!! الحارس أخبرهما أن المنزل ليس به سكان، هي لا تعلم بأن إسماعيل يسكن في نفس الغرفة التي كان يتخذها والدها مسكن لهما قديماً، ومازالت الحياة تسير وتخفي عنا أسرارها...تذكرت علاء وهي تتسأل: أين هو الآن، وهل مازال على قيد الحياة أم لا؟! لابد أن الحارس الذي أسكنهم هنا يعرف كل الأحداث، ويعلم ماذا حدث له؟! ولكن هي لن تجرؤ وتسأله.

-ماما...

قالها وائل من غرفته وهو جالس أمام جهاز الكمبيوتر، فذهبت إليه نظهر إليها بدهشة وهو يقول:

-ماما أنا في حاجة غريبة حصلت لازم تعرفيها!

***

أراد سام أن يكشف أسراره للجميع فأرسل تلك الرسالة لوائل، وبعد قراءتها لدعاء كاملة، اعترف لها بالحقيقة وهي ليست من تأليفه، بل هي من تأليف صوت أتى من داخله وأخبره: أن يقوم بنشرها فقط.

***

استيقظ مراد وهو يتوجع من الألم ممسكاً برأسه ليجد نفسه في غرفة صغيرة، مساحتها لا تتعدى المتر مربع، ربما هو الحبس الانفرادي كما يطلق عليه، ولكن أين فرج ...؟، من المؤكد أنه في مكان آخر مثل مراد، اعتدل وهو يترقب حوله وبدأ ينهض ببطء، ثم نظر للنافذة الصغيرة ولأول مرة تترقرق الدموع من عينيه، يريد أن يدعو الله ولكنه يعلم بغضبه عليه، حتى فمه ارتوى بالخمر لسنوات ليلاً ونهاراً، ترتعش شفتاه وكأنه سيصرخ الآن بحديث جديد...!

***

مازالت حنان تروي لابنتها حكايتها قديماً مع عصام، ولكن عندما سألتها رباب: كيف مات؟! فأجابت حنان: (لقد قتل) تغير كل شيء حتى وضعية جلوسها، نهضت بفزع وهي تقول:

-أوعي تقوليلي إن بابا هو...

قاطعتها أمها وهي تقول:

-أيوه مراد اللي قتل عصام لما رجع من السفر، كان خايف أرجعله...

صرخت رباب وهي تقول:

-دا ظلم، يعني يضحك عليه ويخليه يسافر مكان غلط، وكمان يتجوزك ويقتله، أنا هبلغ عنه...

قالتها رباب وهي تخرج من شقتها...

***

ذهب فريق المعمل الجنائي إلى المقابر وتحديداً إلى المقبرة التي أبلغ عنها جابر موافي، بأمر من وزارة الداخلية وكانت النتيجة في التقرير كالآتي:

"بفحص ما تبقى من جثة المذكور (عصام السيد محمد) وجد سبب القتل طلقة نارية في منتصف الرأس، وهذا تم استنتاجه عندما وجدوا رصاصة 9ملي مستقرة في منتصف الجمجمة..."

***

انتهى جابر من قراءة تلك الكلمات، ثم نهض منفعلاً وهو يقول:

-إزاي الشهود كلهم أكدوا إن الطلقة كانت في الصدر، كدا القضية هتبوظ ومش هتتفتح...

ضحك الطبيب وهو يأخذ التقرير ويقطعه ثم نهض بهدوء وهو يقول:

-اعتبر إن الطلقة كانت ف صدره...

حدق فيه جابر وهو يقول: مش فاهم؟!

ابتسم الطبيب وهو يقول:

-يعني التقرير اللي هيروح النيابة هكتب فيه تم وجود رصاصة على الأرض بجوار ما تبقى من الجثة وتبين من موقعها إن كانت مستقرة بالصدر.

***

تجلس خلود وبجوارها رباب تتحدث وهي تبكي وتروي لها، ما حدث حتى وقعت عيناها على جريدة موضوعة على الكرسي المجاور لها، أمسكت بها ونظرت لخبر جديد بعنوان: (ضابط بالأمن القومي يكشف عن جريمة قتل حدثت من أكثر من عشرين عاماً.) قلبت رباب بالجريدة حتى توقفت عند تفاصيل الخبر، لتجد صورة عصام وفريق المعمل الجنائي يؤكد اكتشاف المقبرة عن طريق الخطأ من قبل بلاغ من الحارس...

أخذت رباب الجريدة ونهضت بسرعة وهي تقول:

-ماما لازم تعرف، دي قالتلي نفسها تقف قدام تربته وتدعي يسامحها...

***

بدأ مراد يصرخ ويضرب الباب بيده وهو يقول:

-أنا اللي قتلت عصام، أنا عايز أعترف، أنا اللي غدرت بصاحب عمري...

كان يبكي بشدة كغير عادته، ثم ركل الباب بقدمه ليجده مفتوحاً...

***

نظرت دعاء لوائل وهو جالس، ثم طلبت منه الوقوف على قدميه، اندهش وائل من مطلبها ولكنه استجاب ليجد نفسه يقف دون سند، ابتسمت دعاء وهي تقول:

-أنا هطلع وإنت بعد دقيقتين إطلع ورايا في ناس عايزة تشوفك...

...خرج مراد ليجد ممراً ذهبي اللون وإضاءة عالية، تحرك ببطء وهو يترقب حتى استمع لضحكات صاخبة تأتي من خلفه، فتوجه نحوها ليجد باباً بجواره يفتح ويخرج منه وائل...

نظر إليه مراد بدهشة وهو يقول:

-انت أيه اللي جابك هنا يا ابني إحنا فين؟

لم يتحدث وائل ثم هز رأيه بالنفي والدهشة في عينيه...

***

تجلس حنان أمام مقبرة عصام وتبكي وتضع رأسها على الأرض قائلة:

-أنا آسفة يا عصام سامحني...

رددتها أكثر من مرة حتى انقطع صوتها، اقتربت منها رباب وهزت جسدها قائلة:

-ماما...ماما ردي عليه...ماما متسبنيش لوحدي أنا مبقاش ليا حد غيرك...

لقد فارقت الحياة حزناً وندماً على ما فعلته بعصام في الماضي، أما رباب فجلست بجوارها تبكي...

في قصر سام الكل جالس عدا سام يقف أمامهم مرتدياً ملابس سوداء، عيناه حمراوان كالشمس التي احترقت أكثر وتغيّر لونها، كان يجلس شريف وبجواره فرج الدمنهوري وابنته رقية وبجوارهم عفاف وابنتها إسراء، وذو الجناح الأسود وسامية يقفان خلفهما، انتهى مراد ووائل من المشي حتى وصلا لصالة القصر ليجدا الجالسين أمامهما، نهضت إسراء وهي تركض نحو وائل واحتضنته بشدة، فقبل رأسها

ومازالت الدهشة على وجهه، لم ينظر مراد إلى أحد غير شريف الذي ظل يحدق به وهز رأسه يميناً ويساراً وهو يقول:

-مش معقول، مش ممكن،...عصام.

نهض شريف وهو يضحك قائلاً: أيوه يا سيدي عصام صاحبك وحبيبك...

قالها وهو يقترب من ببطء حتى أصبح أمامه ولطمه على وجهه، ليقع مراد على الأرض ثم أخرج عصام مسدساً ووجهه نحو رأسه قائلاً:

-رصاصتك خلتني أعيش عشان غبية زيك، بس رصاصتي بتموت ف ساعتها حتى شوف...

أطلقها عليه ليقع جثة على الأرض وسالت دماؤه، هكذا كانت نهاية مراد الذي نظر إليه وائل وهو يضحك ويقول لنفسه:

-يا تري مين دا ف الرواية بتاعتي؟!

نظر له سام وهو يبتسم ثم قال:

-دا بقى مصطفى صاحب صادق...

أنهى جملته بصادق وهو يشير لعصام...

نهض فرج الدمنهوري وهو يقول: والله أنا مش عارف حاجة يا جماعة وكر وعفاريت؟!

ضحك الجميع ثم اقترب منه سام وهو يقول لوائل:

-دا بقى هادي...

مازال الكل ينظر لهما بدهشة ولا أحد يعلم ماذا يقولان؟!، خرجوا جميعاً من القصر ليذهب وائل بجوار إسراء وعصام بجوار عفاف... وانطلق سام وفريقه للبحث عن جريمة أخرى...

زائر فرج الدمنهوري في السجن كان عصام... وهو من أعطاه خطة الهروب ليأتي بمراد إلى قصر سام.

دعاء هي في الحقيقة سامية، كانت تتولى أمر وائل في القصر الذي كان يحسبه وائل المستشفى...

الجثة التي وجدوها في المقبرة ليست جثة عصام، وإنما هي جثة علاء الخطاط، فعصام لم يمت من البداية، أخذه سام إلى العراق مرة أخرى ليتم علاجه ويعود سراً كما عاد...

تزوج ابن آدم من هدى فهي لم تمت وهو من أخذها بعد سقوطها أثناء هدم المنزل، وتعهد لها بحياة سعيدة في قصر سام بعد أن سامحه ...

(تمت بحمد الله)

شكر خاص لكلا من :

إدارة دار زين والقائمين عليها والكاتبة والناشرة آية سعد الدين

الكاتب عمرو المنوفي ،الكاتب محمد عصمت، الشاعر عمرو حسن ،الشاعر معتز عبد الموجود ،الشاعرة أسماء الجمل ،الكاتبة إيمان مهدي ،الشاعرة أميرة البيلي، الكاتبة رفيدة حسن ، الصحفي مصطفى ذكي،الصحفية أمنية لبيب ،الصحفي محمد البرديسي، الكاتبة مي زيادة،الكاتبة والمهندسة بسمة السيد، المهندسة نهلة شاهين، د/فاطمة شعبان، الكاتبة علياء المصري، الشاعر محمود خالد، الشاعرة آية مدحت،روان إبراهيم، ندى عطية، إسراء حسن، رضوى رأفت، دينا حجاج ،تسنيم، محمد هشام، محمد نبيل.

مُدرستي في مرحلة الثانوية التي سألتني يوما ماذا بك. أ/سوسن مُدرسّة اللغة العربية.

شكرا (سام) لأنك فعلت بهم ماكنت أتمنى فعله.